اللَّطَائفُ النَّدِيّة

في بَيَان تَوْحيْد الرُّبُوبيَّة

إعداد:

الدكتور أحمد بن عبدالله الغنيمان

الأستاذ المساعد بقسم العقيدة بكلية الدعوة بالجامعة الإسلامية

المقدمـــة

إن الحمد لله نحمده و نستعينه ونـستغفره ونـستهديه ، ونعـوذ بـالله مـن شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومـن يـضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه و على آله وصحبه وسلم تسليماً كثيرا.

ثم أما بعد فإن توحيد الربوبية مما جاء الإسلام بتقريره وتأكيده ، واعتبار الإيمان به أصلا من أصول الدين وقواعده التي لا يمكن أن يقوم الـدين إلا بها ولا يقبل من أحد صرفاً ولا عدلاً إلا بعد الإيمان به واعتقاده ، إذ هو من أوجب الواجبات وأهم المهمات ، عليه مدار رحى التوحيد لمـا يتـضمنه مـن الإقرار بوحدانية الله وفي ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، لكـن لمـا كـان الخلق مقرين به لم يكثر الكلام عليه الدعوة إلى الإيمان به ، وإنما إلى محصلاته وثمراته لوازمه، ومن هنا تكمـن أهميـة دراسـته وبيـان مكانتـه . ولمـا كـان الاعتناء بهذا الجانب من أهل العلم قليلا ـ لكونه واضحاً وبينـا ـ رأيـت أن أسهم في بيان ذلك مقتصرا على الأمور الـشرعية الثابتـة وفـق أصـول أهـل السنة والجماعة وقواعـدهم في الاسـتدلال والاسـتنباط ، معرضـاً عـن آراء المتكلمين والفلاسفة وغيرهم الذين جعلوا غاية هذا التوحيد إثبات وجوده

جل وعلا ، غافلين أو متغافلا عما قرره سبحانه وتعـالى في كتابـه ومـا قـرره رسوله ﷺ في سنة من لوازمه وثمراته .

وما هذا البحث إلا جهد المقل عله يكون لبنة لدارسة أوسع وأشمل لهذا النوع من أنواع التوحيد .

هذا وقد قسمته إلى مقدمة وسبعة فصول .

أما المقدمة فهذه وأما خطة البحث فتتضمن ما يلي :

الفصل الأول : التوحيد وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة

المبحث الثاني : تعريف التوحيد في الاصطلاح .

المبحث الثالث : أقسام التوحيد الذي دعت إليه الرسل

المبحث الرابع : العلاقة بين أنواع التوحيد .

المبحث الخامس : الفرق بين توحيد الربوبية والألوهية .

الفصل الثاني توحيد الربوبية تعريفه وأسماؤه وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : تعريفه في اللغة .

الفصل السابع : من ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية.

هذا وأسأل الله العلي القدير أن ينفع به ويجعلـه خالـصاً لوجهـه الكـريم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

المدينة النبوية

٦-٦-١٤٢٩ هـ

أحمد بن عبد الله الغنيمان

Hks١٩٩@gmail.com

الفصل الأول : التوحيد .

وفيه مباحث :

المبحث الأول : تعريف التوحيد في اللغة

المبحث الثاني : تعريف التوحيد في الاصطلاح .

المبحث الثالث : أقسام التوحيد الذي دعت إليه الرسل

المبحث الرابع : العلاقة بين أنواع التوحيد .

المبحث الأول:

تعريف التوحيد في اللغة

التوحيد في اللغة مأخوذ من الوحدة والانفراد [1] (الواو والحاء والـدال: أصلٌ واحدٌ يدلّ على الانفراد. من ذلك : الوحدة ، وهو واحدُ قبيلته : إذا لم يكن فيهم مثله . قال الشاعر:

يا واحدَ العُرْبِ الذي　　　ما في الأنام له نظير

ولقيتُ القومَ مَوْحَدَ مَوْحَد ، ولقيتُ الرجلَ وحدَه .)[2] .

(يقال: وحَّدهُ وأحَّدَهُ، كما يقـال ثنَّـاهُ وثلَّثـهُ. ورجـلٌ وَحَـدٌ ووَحِـدٌ، أي منفردٌ. وتوَّحَدَ برأيه، تفَرَّدَ به [3] وفلان واحِدُ دهرِهِ، أي لا نظير له..)[4]

وقال ابن منظور ـ رحمه الله ـ (التوحيد مصدر من وحَّد يُوَحِّد توحيـداً ، إذا أفرده و جعله واحداً.)[5]

---

١ - انظر كتاب العين مادة وحده ٣/ ٢٨١ والصحاح مادة (وحده) واللسان مادة وحده ٣/ ٤٦ .

٢ - معجم مقاييس اللغة ٦/ ٩٠-٩١ .

٣-انظر اللسان مادة وحده ٣/ ٤٤٦ .

٤ - الصحاح مادة وحد ٥٤٧ـ٥٤٨ .

٥ - لسان العرب مادة (وحد) ٣ / ٤٤٨.

إذا فالتوحيد هو جعل الشيء واحداً كأنه شي متفرق ثم اجتمع ولـذلك قيل: هذه القبيلة كلمتها واحدة، وقولها واحد، كأن آراءهم متعددة ولكنهـا اجتمعت إلى رأي واحد .

وهذا الذي تقدم هو مفهوم التوحيد في الاصطلاح كما سيأتي بيانه.

المبحث الثاني :

تعريف التوحيد في الاصطلاح .

عند إطلاق كلمة التوحيد فإنه يراد بها معنيان:

الأول : الفن (العلم) المدون بهذا الاسم .

وقد اختلفت عبارات القوم في تعريفه فمنهم من يتوسع في ذلك فيجعله شاملاً لجميع مباحث العقيدة ، ومنهم من يقصر ذلك على ما يتعلق بذات الله وصفاته وحقه على عبادة .[1]

الثاني : تطلق على المصدر من وحد يوحد توحيداً وهو إفراد الله تعالى بأفعاله ، وإفراد أفعال العباد له وحده دون من سواه .

ولذا فقد تنوعت تعريفات أهل العلم للتوحيد على أقوال منها :

١ـ هو إفراد الله بالعبادة .[2]

٢ـ إفراد الله بأفعال العباد .[3]

١ – انظر دعوة التوحيد خليل هراس ٨ ـ٩.

٢ ـ مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٥٢ وانظر كشف الشبهات ١/ ٧ تيسير العزيز الحميد ٤٧٢

٣ ـ مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٥٢

٣ـ إفراد الله بما يختص به .[1]

٤ـ إفراد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وفي أسمائه وصفاته. [2]

وعند النظر في هذه التعاريف نرى أن التعريف الأول والثاني اقتصرا على نوع واحد من أنواع التوحيد وهو توحيد الإلهية ، ومما يسوغ به ذلك أن توحيد الألوهية هو أهم أقسام التوحيد كلها فهو الذي من أجله أرسلت الرسل وأنزلت الكتب وخلق الخلق وخلقت الجنة والنار ، ولأن الانحراف فيه وقع فيه كثير من الناس، بالإضافة إلى أن من اقر بهذا التوحيد فقد أقر بسائر أقسامه ضمناً كما سيأتي .

وأما التعريف الثالث والرابع فهما الأولى لأنهما جمعا أنواع التوحيد كلها إلا أن الثالث مختصر والرابع مفصل ولذا فهما أشمل من سابقيهما.

المراد بكلمة "التوحيد" في النصوص الشرعية عند الإطلاق

اختلفت طوائف المسلمين في المعنى المراد بها على أقوال متباينة سيأتي ذكرها .

---

١ – فتاوى مهمة لعموم الأمة ١/ ٤

٢ – تيسير العزيز الحميد ٣٢

والذي يعنينا هنا هو معرفة المراد بها عند الإطلاق كما دلت عليه النصوص الشرعية .

من خلال تتبع نصوص الكتاب والسنة يتبين أن المراد بها على وجه الخصوص توحيد العبادة فإن جل نصوص القرآن والسنة المتحدثة عن التوحيد تصب في بيان توحيد الله في عبادته ولعلي أذكر شيئا من ذلك:

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦] أي أعبدوا الله وحده .

وقال سبحانه على لسان قوم نوح: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠) ﴾ [الأعراف]

وذكر عن أقوام الرسل أنهم قالوا بعدما رأوا العذاب : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ (٨٤) ﴾ [غافر]

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (٢٥) ﴾ [الأنبياء] والمقصود أعبدوني وحدي .

وكان الأنبياء أول ما يدعون أقوامهم إليه أن يقولوا : ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ ﴾ [الأعراف: ٦٥]

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) ﴾

وقال ﷺ : ((**أمرت أن أقاتل الناس حتـى يـشهدوا أن لا إلـه إلا الله وأن محمداً رسول الله.**))[١]

وعن عبادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ((**من شـهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمتة ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخلـه الله الجنة على ما كان من العمل**)) [٢]

وقد افتتح البخاري رحمه الله تعالى كتاب التوحيد من صـحيحه بحـديث ابن عباس – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما بعـث معاذاً إلى اليمن قال له : ((**إنك تقدم على قوم من أهل الكتـاب فلـيكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى ... الحديث**))[٣]

وفي رواية : ((**وليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله ..**))[٤]

وفي رواية : ((**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله**))[٥]

وبوب البخاري – رحمه الله – لذلك فقال : ((**باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى.**))[١]

---

١ – البخاري (ح ٢٥) ومسلم (ح ٢١).

٢ – البخاري (ح ٣٢٥٢) .

٣ – البخاري (ح ٢٦٨٥) .

٤– البخاري (ح ١٣٨٩) . ومسلم (ح ١٩)

٥– البخاري (ح ١٣٣١) . ومسلم (ح ١٩)

وروى مسلم عن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((**بني الإسلام على خمسة : على أن يوحدوا الله...**))[٢]

وفي رواية : ((**على أن يعبدوا الله ويكفروا بما دونه**))[٣]

وفي رواية : ((**على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله.**))[٤]

ومن هذه النصوص يتبين لنا مدلول لفظ التوحيد عند الإطلاق وهو إفراد الله تعالى بأفعال العباد على وجه الخصوص كما تدل على إفراد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته تضمنا.

وهذا هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل وأنزلت من أجله الكتب وشرعت الشرائع وهو معنى الكفر بالطاغوت الذي أمر الله عبادة أن يكفروا به .

قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

ومما يدل على صحة هذا أيضاً وأن السلف كانوا يفهمون ذلك ، ما رواه مسلم عن جابر – رضي الله عنه – أنه قال في وصف فعل النبي صلى الله

١ – صحيح البخاري ٤/ ٣٨٧ والفتح ٦/ ٢٦٨٣ .
٢ – مسلم (ح ١٦) .
٣ ـ مسلم (ح ١٦) .
٤ ـ مسلم (ح ١٦) .

عليه وسلم في حجة الوداع : ((**فأهل النبي صلى الله عليه وسلم بالتوحيد لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك .**))[١]

هذا هو معنى لفظ التوحيد وهو الذي تدور حوله كتب السلف ومن سار على نهجهم ، ولا عبرة بما عدا ذلك من إطلاقات المبتدعة من الفلاسفة [٢] المتكلمين والجهمية المعطلين والأشاعرة المؤولين والصوفية المستغرقين في الضلالات ممن اصطلحوا على وضعه للتعطيل المحض ، ثم دعوا إليه الناس باسم التوحيد ، فخدعوا به من لم يعرف معناه في اصطلاحهم وظن أن ذلك هو التوحيد الذي دعت إليه الرسل .

وهؤلاء انقسموا في مفهوم التوحيد إلى أربعة أقسام :

الأول : توحيد الفلاسفة : ويدور مفهوم التوحيد عندهم حول إثبات وجود الخالق ، وإنكار ماهية الرب الزائدة على وجوده ، وإنكار صفات كماله ، فقالوا لا سمع له ولا بصر ولا قدرة ولا حياة ولا إرادة ولا كلام ولا وجه ولا يدين إذ ليس معنيان متميز أحدهما عن الآخر البتة ، لأنه لو كان كذلك لكان مركباً ، وجسماً مؤلفاً ، ليس واحداً من كل وجه .

---

١ - مسلم ٢/ ٨٨٧ . (ح ١٢١٨)

٢ - الفيلسوف أصلها يوناني معربه وهي مكونه من كلمتين فيلو بمعنى محب وسوف بمعنى الحكمة فهي تعني محب الحكمة. انظر الملل والنحل للشهرستاني ٢/ ٥٧ .

وهذا الواحد الذي جعلوه حقيقة رب العالمين يستحيل وجوده فلما اصطلحوا على هذا المعنى في التوحيد وسمعوا قوله تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[البقرة ١٦٣] ، وقوله: ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾[المائدة ٧٣] نزلوا لفظ القرآن على هذا المعنى الاصطلاحي الفاسد، فسموا أعظم التعطيل بأحسن الأسماء وهو التوحيد وكسوه ثوبه وسموا أصح الأشياء وأحقها بالثبوت وهو صفات الرب ونعوت كماله بأقبح الأسماء وهو التركيب والتأليف.

الثاني : توحيد الجهمية : هو مشتق من توحيد الفلاسفة يقوم على نفي صفات الرب وأسمائه ويزعمون أنها بمعنى واحد .

الثالث : توحيد القدرية الجبرية :وهو إخراج أفعال العباد أن تكون فعلا أو واقعة بكسبهم أو إرادتهم بل زعم غلاتهم أنها نفس فعل الله فهو الفاعل لها دونهم .

الرابع : توحيد القائلين بوحدة الوجود من غلاة المتصوفة حيث زعموا بأن التوحيد هو شهود الحقيقة، وأن الموحد هو الذي يرى الله عين كل شيء، فالوجود عندهم شيء واحد ليس لا فرق بين وجوده ووجود غيره

فالخالق هو عين المخلوق ، والمخلوق هو عين الخالق ، بل إن منهم من زعم أن الله تعالى وتنزه حال في كل شيء.[1]

فهذه الأربعة الأنواع جاء الرسل بإبطالها ودل على بطلانها العقل والنقل.

١ - الصواعق المرسلة ٩٢٩ بتصرف يسير وانظر الفتاوى ٦/ ٦٨ .

المبحث الثالث :

أقسام التوحيد الذي دعت إليه الرسل

إن الإيمان بالله جل وعلا لا يتم إلا بالإيمان بربوبيته وألوهيته، وما يجب له من أسماء وصفات تليق بجلاله جل وعلا مما أخبر به سبحانه في كتابه أو أثبه له رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وهذه الأقسام هي التي جاء ذكرها في كتاب الله ودعا إلى تحقيقها رسل الله ،هي التي يتعارف أهل العلم على تقسيمها إلى قسمين :

- توحيد المعرفة الإثبات
- توحيد القصد والطلب.

فالأول : دل على إثبات حقيقة ذات الرب سبحانه وتعالى ، وإثبات خصائص ربوبيته من الخلق والملك والتدبير وهو ما يعرف بتوحيد الربوبية كما دل على إثبات أسمائه وصفاته وأفعاله وتكلمه بكتبه وتكليمه من شاء من عباده، وهو ما يعرف بتوحيد الأسماء والصفات . كما دل على إثبات عموم قضائه وقدره وحكمته وقد أفصح القرآن عن هذا النوع كل الإفصاح قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى] تعالى ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝٣ ﴾ الآيات ... الحديد وغيرها من الآيات.

كما يتضمن توحيد الربوبية وهو معرفة وحدانية الله في الخلق والرزق والملك والتدبير ... [1] واثبات ذلك له وحده لا شريك له ، واعتقاد تفرده بذلك كله وحده دون من سواه .

والقرآن مليء بآيات تدل على هذين النوعين. [2]

الثاني : توحيد القصد والطلب ، وهو عبادة الله وحده لا شريك ومحبته والخوف منه والإخلاص له وتجريد المتابعة لرسوله ويسمى توحيد الألوهية أو توحيد العبادة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله : "وأما التوحيد في العبادة والإرادة والعمل فكما في سورة الكافرون .. فتضمن إخلاص الدين له كما قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾[البينة] وقال سبحانه : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ

---

١ - وسيأتي بيانه قريبا بإذن الله .

٢ - انظر شرح قصيدة ابن القيم لابن عيسى ٢/ ٢٦٠ المسماه توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم

وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة] فتضمن براءة من لشرك وأهله.[١]

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن القرآن كله ـ بالجملة ـ مقرر لهذين النوعين فهو إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وهو توحيد الإثبات والمعرفة ، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له ، والكفر بكل ما يعبد من دونه وهو توحيد الإرادة والقصد ، وإما أمر ونهي وإلزام بهما وهذا من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل التوحيد ، أو خبر عن النكال بأهل الشرك ، فالأول جزاء من تمسك بالتوحيد ، والأخر جزاء من حاد عنه.[٢]

وهذا التقسيم للتوحيد تقسيم استقرائي درج عليه أهل العلم قديما وحديثا ليسهل فهمه والعمل به ، كما درج أهل العلم على تقسيم الدين إلى أصول وفروع والفقه إلى عبادات ومعاملات ونحوها وكما درج أهل اللغة على تقسيم الكلام إلى اسم وفعل وحرف مع أن العرب لم تقل ذلك ، وهذا من باب الاصطلاح ليقرب الفهم ويسهل الإدراك، قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي ـ رحمه الله ـ " دلَّ استقراء القرآن العظيم على أنَّ التوحيد ينقسم

١ – درء التعارض ١/ ١٢٩ .

٢ – مدارج السالكين ٣/ ٤٥٠ وانظر شرح الطحاوية ٨٨ ، و تيسير العزيز الحميد ٣٣، ومعارج القبول ١/ ٥٤.

إلى ثلاثة أقسام : الأول : توحيده في ربوبيَّته ، و هذا النوع جُبِلَت عليه فطر العقلاء . الثاني : توحيده جلّ و علا في عبادته ، و ضابط هذا النوع من التوحيد هو : تحقيق معنى لا إله إلا الله ، وهي مترکِّبة من نفيٍ و إثبات . الثالث : توحيده جلّ و علا في أسمائه و صفاته "[1]

وهذا التقسيم قدر درج عليه كثير من أهل العلم والمعرفة وهو من تأصيل أهل السنة والجماعة لكن قد اعترض عليه من خفي عليه المراد منه أو فهمه فهماً غير صحيح ، أو مقلد لهواه متبعاً من سبقه، ولذا رأيت إتماما للكلام في هذه المسألة أورد أهم اعتراضاتهم مع إجابة مختصرة عليها لأنها ليس المقصود من البحث .

اعترض بعضهم على هذا التقسيم اعتراضات أهمها :

الأول : قولهم : بأنه لا فرق بين توحيدي الربوبية والألوهية لأن الرب هو الإله والإله هو الرب فلم هذا التقسيم.[2]

الجواب من وجوه :

١ـ تقدم معنى الإله وأن معناه الحق هو المعبود بخلاف الرب فإن بمعنى المالك والسيد المطاع كما سيأتي[1] فبينهما فرق في المعنى والدلالة كما قرره أهل اللغة ولا ينكره إلا جاهل.

١ - إتحاف المريد بمعرفة التوحيد،ص٢٣-٢٤.

٢ - التنديد لمن عدد التوحيد للسقاف ص ٣١ وانظر البراهين الساطعة للقضاعي ٣٧٥ـ٣٨٣ .

٢ـ أن هـذا الادعـاء مبنـي عـلى معتقـد باطـل في أن أسـماء الله وصـفاته مترادفة.[1]

٢ـ أن أسماء الله أعـلام وأوصـاف تختلـف معانيهـا وألفاظهـا وإن اتحـد مدلوها . فالرب والإله أعلام دلت على مسمى واحد واختلفت في دلالتهـا على أوصاف المسمى نفسه .[2]

الثاني: أن هذا التقسيم من ابتداع شـيخ الإسـلام ابـن تيميـة وتلميـذه لم يسبق إليه سابق .[3]

والجواب عنه من وجوه :

١ــ تقـدم بعـض النقـول عـن كثـير مـن علـماء الأمـة المتقـدمين مـنهم والمتأخرين القول بهذا التقسيم مما يتبين فيه أن شيخ الإسلام ابن تيمية لـيس هو أو من قال به أو ابتدعه أو قال به.[4]

١ – انظر ص ٣١ .

٢ – انظر القواعد المثلى ص ١٦ .

٣ – التنديد ص ٨ ، والتوسل لابن مرزوق ص ٦٧ . وانظـر في الـرد عـلى هـذا الاعـتراض القـول السديد في الرد على مـن أنكـر تقـسيم التوحيـد للبـدر ص٣١ ، والـشرك في القـديم والحـديث ١/ ١٠٥ .

٤ – انظر التحذيرات من مختصرات الصابوني في التفسير لبكر أبو زيد ص٣٠ . وانظر القول السديد للبدر ص ٢٠ وما بعدها .

٢ـ أن سبب تفصيل شيخ الإسلام فيه وتقريره والكتابة فيه كثرة نواقضه المنتشرة في العصور المتأخرة بعد غزو الصليبين والمشركين من المغول والتتر الذين نشروا الشرك وأقاموا القباب على القبور ودعوا الناس إلى تعظيمها مما حدا بأهل الغيرة كشيخ الإسلام إلى بيان ذلك قياماً بالواجب الذي أوجبه الله عليهم .

٣ـ أن بعض المتقدمين من الأشاعرة ذكر هذا التقسيم ، قال الباقلاني(١) : " الإقرار بأنه ثابت موجود وإله واحد فرد معبود ليس كمثله شيء " (٢)

وقال الباجوري(٣) في التوحيد : " هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد ودته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً ."(٤)

---

١ – محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم الباقلاني ولد في البصرة، وسكن بغداد فتوفي فيها.صاحب التصانيف في علم الكلام انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة. ذكره القاضي عياض في طبقات الفقهاء المالكية توفي في ٤٠٣هـ انظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٩ ، والأعلام للزركلي ٦/ ١٧٦ .

٢ – الإنصاف ص ٣٤ .

٣ – إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري: شيخ الجامع الأزهر من فقهاء الشافعية ولد بباجور في مصر عام ١١٩٨ تقلد مشيخة الازهر سنة ١٢٦٣هـ، واستمر إلى أن توفي بالقاهرة ١٢٧٧سنة هـ . انظر الزركلي١/ ٧١ . ومعجم المؤلفين ١/ ٨٤ .

٤ – تحفة المريد ص ١٠ .

وغيرهما كثير.

الثالث : أن هذا التقسيم لم يرد في الشرع ، وبالتالي فهو إحداث في دين الله .

الجواب أن نقول قد تقدم أنه هذا التقسيم هو استقراء للنصوص الشرعية بل قد ذكر في غير ما آيه ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [مريم: ٦٥]

الرابع : أن هذا التقسيم تسبب في تفريق المسلمين وتكفير بعضهم .

والجواب من وجوه :

١ـ أنا لا نسلم بأنه فرق المسلمين بل ميز ما بين الموحدين وغيرهم ، بل صحح مسار كثير من المسلمين الغافلين أو الجاهلين به ، فكان سببا لجمعهم على الحق والدين

٢ـ وعلى فرض التسليم جدلا نقول إن تفريق المسلمين ليس مقتصراً على هذا التقسيم مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم ((**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**)) [1]

١ – رواه أبو داود (ح٤٥٩٦) وصححه الألباني .

الخامس : قالوا : يلزم من هذا التقسيم أن يكون المشركين جاؤا بالتوحيد الصحيح المنجي وإلا لزم أن لا يكونون مقرين بالتوحيد أصلاً وبالتالي فلا عبرة بهذا التقسيم .

والجواب من وجوه :

١ـ أن هذا القول مبني على ما قرره المتكلمين من أن التوحيد الذي جاءت به الرسل والذي تكون به النجاة في الآخرة .[١]

٢ـ إطلاق الشرك عليهم في الألوهية مع إقرارهم بالربوبية هو نهج القرآن .

٣ ـ أن قول أهل العلم بأنهم مقرين بالربوبية لا يقصدون أنهم جاؤا به على الوجه الصحيح وإلا لكانوا مقرين بالألوهية.

٤ـ ما سيأتي من بيان أن الخلق اقروا بهذا التوحيد ولم ينفعهم .[٢]

السادس : أن هذا التقسيم فيه مشابهة للنصارى القائلين بالتثليث :

١ – انظر شرح العقائد النسفية للتافتزاني ص ٧٣ . والدرر السنية في الرد على الوهابية لدحلان ص ٤٠ـ٤١ . وانظر درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٣٤٥ .

٢ – انظر ص . وانظر في الرد على هذا الاعتراض القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد للبدر ص٣١ ، والشرك في القديم والحديث ١/ ١٠٥ .

والجواب من وجوه :

١ـ أن التثليث مبني على جعل الإله الحق ثلاثة بخلاف هذا التقسيم فإن من باب تقسيم التبيين والتوضيح لا من باب التضاد .

٢ـ أن هذا ما قرره الله جل وعلا في كتابه العزيز بخلاف التثليث فقد أبطلة وقبح القائلين به.

٣ـ أن هذا القول يمكن أن يجري أيضاً على ما يعتقده الأشاعرة القائلين بان التوحيد هو اعتقاد أن الله واحد لا قسيم له وواحد في صفاته لا نظير له وواحد في أفعاله لا شريك له، فقد قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام.[(١)(٢)]

لكن المتأمل في هذه الشبة والاعتراضات يدرك حقيقة وهنها وضعفها ، فقد بنيت على عدم فهم لهذا التقسيم والمراد منه ، فلو أدرك هؤلاء أن ليس المراد به تقسيم تضاد واختلاف وإنما تقسيم تنوع لما كان في ذلك أي أشكال، ثم لو تجرد الناس وبالخصوص أهل العلم من التبعية لغير نصوص الكتاب والسنة لما وجد الاختلاف والتفرق ، وإن أي متجرد محق يدرك أن تقسيم التوحيد لا مشاحة فيه فقد قسم النحاة الكلام إلى ثلاثة أقسام وقسم أهل العلم الدين إلى علم اعتقاد وعلم أحكام ولم يشنع أحد على مثل هذه

---

١ – انظر الملل والنحل ١/ ٤٢ .

٢ – ينظر في الرد على هذه الاعتراض القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد للبدر ص٣١ ، والشرك في القديم والحديث ١/ ١٠٥ .

التقسيمات فيما أعلم فلم هذا التشنيع على تقسيم التوحيد ؟! أم لأنه حمل راية بيانه وتوضيحه من بين خطأ كثير من مسالك المتبعين للمتكلمين المتأثرين بالفلسفة والبعد عن النصوص الشرعية المكتفين بالاعتماد على عقول البشر ؟!!

المبحث الرابع :

العلاقة بين أنواع التوحيد .

أولا : علاقة توحيد الربوبية بتوحيد الألوهية :

توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الإلهية ولذا أكثر الله سبحانه وتعالى في كتابه من ذكر صفات ربوبيته المشاهدة في الأنفس والآفاق وغيرها ليدلل على وجوب عبادته وحده لا شريك له ، فإن من أقر بأن الله هو الخالق وحده لا شريك له وأنه المحيي المميت وحده لا شريك له المدبر المالك المتصرف وحده لا شريك له الذي يملك الضر والنفع وحده لا شريك له الذي خلق الإنسان فسواه وصوره في أحسن صورة وسخر له الكائنات وحده لا شريك له ؛ إذا أقر العبد بذلك لزمه أن يقر بأنه سبحانه المعبود وحده لا شريك له ومن ثم لزمه صرف جميع أنواع العبادة له والكفر بجميع ما عبد من دونه ، ولا يكون مؤمنا مستحقا لثواب الله ورحمته إلا بهذا وبغيره يحل به سخط الله وعقوبته [١] . وقد دل النصوص على ذلك:

قال سبحانه : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [النمل] فبين تعالى أن المشركين من العرب ونحوهم قد علموا أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله

١ - انظر الاستقامة ٢/ ٣١ ، وزاد المعاد ٣/ ٥٨٨ ، وتيسير العزيز الحميد ٧١ .

وحده فذكر ذلك سبحانه محتجا عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه ولهذا قال ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ يعنى يفعل ذلك فإذا كانت آلهتهم لا تجيبهم في حال الاضطرار فلا يصلح أن يجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وحده وهذا أصح ما فسرت به الآية ..

وقوله ﴿ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [النمل] .. إلى قوله : ﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل]

فتأمل هذه الآيات يتبين لك أن الله تعالى احتج على المشركين بما أقروا به على ما جحدوه : من قصر العبادة جميعها عليه" [1]

والآيات في كتاب الله في هذا المعنى كثيرة جداً بل أظهر من أن تذكر لكن أكثر الناس لا يعقلون .

---

١ - انظر فتح المجيد ١/ ١٧٠

وعلى هذا فإن كل من أقر بأنه له الأسماء الحسنى والصفات العليا المتفرد بالخلق والرزق والملك والتدبير فقد لزمه أن يعبده وحده لا شريك له ولذا احتج إبراهيم عليه السلام على أبيه وقومه بقوله تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم] فاحتج عليه السلام على بطلان المعبودات من دون الله أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تدفع الضر وما كان كذلك فلا يستحق أن يعبد فلزم أن يعبد من اتصف بصفات السمع والبصر وجلب النفع ودفع الضر.

ومثلها قوله جل وعلا في أول امر في كتاب الله جل وعلا : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة] فذكر سبحانه خصائصه الموجبة لعبادته وهذا في القرآن كثير.

ثانيا : علاقة توحيد الألوهية بتوحيدي الربوبية والأسماء والصفات

وأما العلاقة بين توحيدي الربوبية والأسماء والصفات وتوحيد الإلهية فهي علاقة تضمن فإن من أقر بتوحيد الإلهية فإن مقر بأنه لا يملك جلب

النفع ولا دفع الضر إلا هو ، مقر بماله من الصفات والأفعال التي يختص بها استدل عليه وعلى وجوب عبادته.[1]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : " والرسل دعوا الخلق إلى توحيد الإلهية وذلك متضمن لتوحيد الربوبية كما قال كل منهم لقومه: ﴿ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩] وقال : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [الزخرف] وقال : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء]وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ﴾ [النحل: ٣٦][2] فكل من أقر بأنه الله إلهه ومعبوده فقطعا يكون مقراً بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ويجلب النفع ولا يدفع الضر إلا هو بل لا يستحق أن يوصف بكمال الصفات ويتسمى بأكمل الأسماء إلا هو ·

ولذلك عاب الله تعالى على المشركين الذين يقرون بتوحيد الربوبية ثم يشركون في عبادة الله، بصرف بعض أنواع العبادة

---

١ – انظر الاستقامة ٢/ ٣١ ، وزاد المعاد ٣/ ٥٨٨ ، وتيسير العزيز الحميد ٧١ .

٢ – درء التعارض ٥/ ١٥٦وانظر زاد المهاجر ١٧ .و رفع الشبهة والغرر ٦٧ و بدائع الفوائد ١/ ١٢٤ وانظر مثله في أحكام أهل الذمة ٢/ ٩٥٠ ومفتاح دار السعادة ١/ ٩٤ .و معارج القبول ٢/ ٤٠٢ و فتح المجيد ١/ ١٧٠

وقال تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ ﴾ الأعراف وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[النحل] وقال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الإسراء]فدلت الآيات على أن توحيد الإلهية متضمن لتوحيد الربوبية فمن لا يقدر على أن يخلق يكون عاجزا والعاجز لا يصلح أن يكون إلها.[١]

لكن قد يقول قائل إنه قد يجمع بين لفظ الربوبية والألوهية في موضع واحد وقد يفرد أحدهما بالذكر دون الآخر فهل معنى ذلك أن كل لفظ يختص بمعنى لا يشمله المعنى الذي دل عليه اللفظ الآخر.؟

أجاب عن هذا التساؤل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ فقال :" الإلهية تتضمن الربوبية والربوبية تستلزم الإلهية فإن أحدهما إذا تضمن الآخر عند الانفراد لم يمنع أن يختص معناه عند الاقتران كما في قوله : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ وفي قوله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ فجمع بين الاسمين : اسم الإله واسم

---

١ - انظر شرح الطحاوية ١/ ٧٧ .

الرب فإن الإله هو المعبود الذي يستحق أن يعبد والـرب هـو الـذي يـرب عبده فيدبره .

وهذا كانت العبادة متعلقة باسمه "الله" والسؤال متعلقا باسمه "الرب" فإن توحيد الله بالإلهية هو الغاية التي خلـق لهـا الخلـق ،والربوبيـة تتـضمن خلق الخلق وإنشائهم." [1]

١ - مجموع الفتاوى ٥/ ٢٤٩ .

المبحث الخامس:

الفرق بين توحيد الألوهية والربوبية :

تكمن أهمية هذا المبحث في أمور منها : أولاً : بيان وجه الخلط الواقع عند بعضهم بين أنواع التوحيد والأمر الثاني : في بيان منهج الرسل في الدعوة إلى التوحيد والأمر الثالث : في بيان وفهم كثير من نصوص القرآن فإن من فهم التوحيد وأنواعه فهم كلام الله جل شأنه بل وتلذذ بقراءة وسماعة واستشعر عظمته .

ولعل الفروق تتلخص فيما يلي :

١ـ الفرق اللغوي فالربوبية مشتق من الرب كما تقدم والألوهية مشتق من الإله والفرق بينهما واضح جلي قال ابن فارس :(أله : الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد فالإله الله تعالى ، وسمي بذلك لأنه معبود ويقال تأله الرجل إذا تعبد) [1] وقال في رب : (الراء والباء يدل على أصول ، فالأول إصلاح الشيء والقيام به ، فالرب المالك والخالق

١ – معجم مقاييس اللغة مادة (أله) .

والصاحب ... والرب المصلح للشيء والله جل ثناؤه الرب لأنه مصلح أحوال خلقه)[١] وبه يظهر خطأ من يفسر الإله بأنه القادر على الاختراع و هذا باطل شاهده قول الله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ ﴾ [الناس].[٢]

٢ـ أن توحيد الربوبية يتعلق بأفعال الرب جل وعلا من الإحياء الإماتة الرزق ...إلخ) أما توحيد الألوهية فيتعلق بالعبادة والتأله المبنية على الأمر والنهي .

٣ـ توحيد الربوبية أقرّ به المشركون و توحيد الألوهية أنكره المشركون[٣]

٤ـ أن توحيد الربوبية مدلوله علمي يتعلق باعتقاد القلب ولذا فهو يسمّى توحيد المعرفة و الإثبات وأما توحيد الألوهية فمدلوله عملي من جهة فعل المكلف وقوله المبني على الاعتقاد بأنه الرب المستحق للعبادة ولهذا فهو يسمى توحيد القصد والطلب.

---

١ - المصدر السابق مادة (ربب) .

٢ - انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٣ وانظر القول المفيد ١/ ٣٩ ، ٢٥٧

٣ - انظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٣ .

٥ـ توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية فهو خارج عنه لا يدخل فيه إلا من جهة المعنى الشرعي و توحيد الألوهية متضمّن لتوحيد الربوبية لأن الربوبية هي بعض الألوهية .[١]

٦ـ أن توحيد الربوبية لا يدخل من آمن به في الإسلام إجماعا بخلاف توحيد الألوهية.[٢]

---

١ – تقدم الكلام على هذا انظر ص ١٩ .

٢ – انظر القاعدة الرابعة من القواعد الأربع للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٣٣ وانظر القول المفيد ١/ ٥ وانظر المدخل لدراسةِ العقيدةِ الإسلاميةِ على مذهبِ أهل السنةِ والجماعةِ ص ٩٦.

الفصل الثاني :

توحيد الربوبية تعريفه وأسماؤه ،

وفيه مباحث

المبحث الأول : تعريفه في اللغة

المبحث الثاني : تعريفه في الاصطلاح .

المبحث الثالث : أسماؤه .

المبحث الأول :

تعريفه في اللغة

توحيد الربوبية مأخوذ من كلمة " رب " والرب كما سيأتي[١] يطلق على المربي ، والمدبر، والقيم، والمنعم والمالك والسيد.

قال ابن الأَنباري الرَّبُّ يَنْقَسِم على ثلاثة أَقسام يكون الرَّبُّ المالِكَ ويكون الرَّبُّ السّيدَ المطاع قال اللهّ تعالى : ﴿ فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾[يوسف: ٤١] أي سيده ويكون الرب المُصْلِحَ رب الشيء إذا أصلحه.[٢]

والرَّبُّ هُوَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ وهو رَبُّ كلِّ شيءٍ أَي مالِكُه له الرُّبُوبِيَّةُ على جَمِيعِ الخَلْقِ لا شَرِيكَ له وهو رَبُّ الأَرْبَابِ ومَالِك المُلوكِ والأَمْلاَكِ[٣]

و" الرِّبِّيُّون : الذين صبروا مع الأنبياء نسبوا إلى العبادة والتألّه في معرفة الرُّبوبيّة لله الواحد. "[٤] كما أن الرَّبُّ اسم من أسماء الله تعالى.

---

١ - انظر المبحث الأول من الفصل الرابع.

٢ - اللسان ربب ١/ ٣٩٩ ، تاج العروس ١/ ٥٠٥

٣ - تاج العروس رب ب ١/ ٥٠٥

٤ - كتاب العين ٨/ ٢٥٧.

ويظهر مما تقدم أن الربوبية مشتقة من " الرب " فالله هـو الـرب والـسيد الذي كمل سؤدده لا يعجزه شيء يدبر الأمر كله وإليه يرجع الأمـر كلـه لا خالق إلا هو ولا رازق ولا محيـي ولا مميـت إلا هـو الـذي ملـك كـل شيء ورباه .وصفات الربوبية هذه ظاهرة لكل عاقل ومن هنـا أضـيف التوحيـد إلى هذه الكلمة لشموليتها على اختصاص الرب جل وعلا بجميع ما تحملـه من صفات ومعان .

المبحث الثاني :

تعريفه في الاصطلاح .

تنوعت عبارات أهل العلم في تعريف توحيد الربوبية ولعلي اسرد بعض التعريفات وإن كانت متقاربة في المعنى إلا أن العبارات قد تختلف من تعريف إلى تعريف :

١ـ إفراد الله بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والرزق والإحياء والإماتة وإنزال المطر ونحو ذلك.[١].

٢ـ الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر.[٢]

٣ـ الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا هو.[٣]

---

١ – انظر (تيسير العزيز الحميد / ٣٣

٢ – تيسير العزيز الحميد ١٧ ومعارج القبول ٢/ ٤٥٩

٣ – مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٤٥

٤ـ هـو أن الله سـبحانه متفـرد بـالخلق والتـدبير عـن الملائكـة والأنبيـاء وغيرهم.[١]

٥ ــ " إفراد الله بالخلق والملك والتدبير" [٢]

٦ـ هو أن لا معطى لما منع الله ولا مانع لما أعطاه ولا يتوكل إلا عليـه ولا يسأل إلا هو.[٣]

٧ـ الإقرار بأن الله خالق كل شيء وربه[٤]

وبتتبع تعريفات أهل العلم لهذا النوع من التوحيد نجد أنـه يـدور حـول إفراد الله سبحانه وتعالى بأفعالـه، إلا أن الـبعض يتوسـع في ضرب الأمثلـة وبعضهم يقتصر، والبعض الآخر يكتفي بذكر مثال واحـد فقـط كـما صـنع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في غير موضـع مـن مؤلفاتـه حيـث عرفـه بقوله: "هو إفراد الله بالخلق" وكذا تلميذه ابن القيم رحمهما الله .

---

١ – المصدر السابق ١/ ١٥٠

٢ – القول المفيد ١/ ١٤

٣ – مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ٢٢/ ٤٤٧

٤ – منهاج السنة النبوية٣/ ٢٨٩ ، الاستقامة ١/ ١٧٩

الخلاصة :

ومن هنا نستطيع القول بان أشمل تعريف لتوحيد الربوبية هو : إفراد الله بأفعاله ، ويدخل في هذا جميع صفات الربوبية من الخلق والملك والتدبير والتصرف في جميع مخلوقاته ، بل يدخل فيه خلق أفعال العباد من الخير والشر ووجه ذلك:

١ - أن فعل العبد من صفاته، والعبد مخلوق لله، وخالق الشيء خالق لصفاته.

٢- أن فعل العبد حاصل بإرادة جازمة وقدرة تامة، والإرادة والقدرة كلتاهما مخلوقتان لله عز وجل وخالق السبب التام خالق للمسبب. [١]

كما يدخل فيه الإيمان بما قضاه الله وقدره وأنه لا يخرج شيء عن ملكه وخلقه وتدبيره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ " وأما توحيد الربوبية فيدخل فيه ما قدره الله وقضاه وإن لم يكن مما أمر به وأوجبه ورضيه، والعبد مأمور بأن يعبد الله ويفعل ما أمر به وهو توحيد الإلهية ويستعين بالله على ذلك وهو توحيد الربوبية فيقول إياك نعبد وإياك نستعين والله أعلم." [٢]

١ - فتاوى مهمة لعموم الأمة ص ٣

٢ - الفتاوى ٢٢/ ٤٤٨ ، ٤١٩ بتصرف يسير

المبحث الثالث :

أسماؤه .

لهذا النوع من التوحيد أسماء عديدة منها :

١- توحيد الربوبية كما سبق بيانه.

٢- التوحيد العلمي وهذا الاسم مأخوذ من العلم وذلك بأن الأصل أن كل عبد يعلم أن الله خلقه ورزقه وأنعم عليه ، وهذا من العلم البدهي ولذا قيل التوحيد العلمي بناء على علم العبد ببعض صفات ربه مع اعتقاده بمدلولاتها وإثابتها له وعمله بمقتضاها.

٣- التوحيد الخبري وهذا الاسم ألصق بتوحيد الأسماء والصفات وإن كان كلا التوحيدين أقصد الربوبية والأسماء والصفات يدوران حول إفراد الله بأفعاله وأسمائه وصفاته ، وهذا مبني على أن هذه الصفات متلقاها من الخبر عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم.

٤- توحيد المعرفة والإثبات . يقصد بالمعرفة المعرفة بالخالق جل وعلا ، معرفته بأفعاله وصفاته ، وتوحيد الإثبات أي إثبات تلك الأسماء والصفات لله وحده، كما جاء في حديث معاذ حينما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن فقال له : ((**إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول**

ما تدعوهم إليه عبادة الله فإذا عرفوا الله فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم) [١] فجعل ذلك معرفة .

٥- التوحيد الاعتقادي وهذا الاسم مشتق من اعتقاد العبد ما لله جل وعلا من الأسماء والصفات والأفعال وإثبات ذلك له .

مسألة :دلائل توحيد الربوبية

تكلم أهل العلم في دلائل الربوبية وحيث أن البحث لا يقصد بها بيانها فقد كتبت فيها سفراً سهل الله نشره ولذا فأوجز اهم ما ذكره أهل العلم فقد ذكروا من دلائل معرفة الله ومعرفة ربوبيته أدلة منها : الفطرة ودليل الخلق والإيجاد ودليل الضرورة ، ودليل العناية ، ودليل الاضطرار . قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى -

وحدانية الربوبية معلومة بالشريعة النبوية والفطرة الخلقية والضرورة العقلية ، والقواطع النقلية واتفاق الأمم وغير ذلك من الدلائل . [٢]

---

١ - رواه البخاري (ح ١٣٨٩) ومسلم (ح ١٩)

٢ - مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٠١ وانظر ٢/ ٢٧.

الفصل الثالث :

أهمية توحيد الربوبية

توحيد الربوبية حق، وأمره عظيم، ولا يصح إيمان العبد إذا لم يؤمن به، وحاجة العبد إليه أشد من حاجته إلى توحيد العبادة، ولذا فكل الناس مؤمنون به مؤمنون بدلائله . ويمكن إجمال أهميته في أمرين :

أحدهما : علم العبد بحاجته الماسة إليه.

والثاني : إفراد الله جل وعلا به والبعد عن نواقضه.

فالأول متعلق بحاجة العبد والثاني متعلق بحق الرب جل وعلا

وتفصيل ذلك :

من المعلوم أن حاجة العبد إلى الرب لا تنتهي ولا يمكن لعبد أن يستغني عن ربه طرفة عين ، ولهذا كان عليه الصلاة والسلام يكثر من قوله : "اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ولا أقل من ذلك " [1] لأن من وكل إلى نفسه هلك ، بل إن العبد قد يحال بينه وبين ما يريده كما قال سبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأنفال] فكل عبد فقير محتاج إلى ربه أشد من حاجته إلى طعامه وشرابه[2] قال تعالى : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر] وإليك ما يوضح ذلك :

١ - رواه أبو داود (ح ٥٠٩٠) وأحمد في المسند (٥/ ٤٢) وحسنه الألباني

٢ - انظر الوابل الصيب ٥٦ .

١ـ أن كل عبد مفتقر بطبعه إلى ربه لا يمكن أن يستغني عنه طرفة عين فإنه إن لم يكن له معينا فلا معين له" قال تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [فاطر]. [1]

٢ـ أن الإنسان أحوج ما يكون إلى الهداية والتوفيق ، ولا هادي إلا الله فإن لم يكن للعبد هادياً فلا هادي له قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [الأعراف] ، وقَالَ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الزمر] فهو سبحانه الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء ولذا فالعبد أشد ما يكون إلى طلب الهداية والتثبيت عليها وهذا لا يكون من الغافل عن معرفته بربوبيته وأسمائه وصفاته، ولأجل هذا شرع لنا أن ندعو بكل صلاة بقوله تعالى : ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾.[2]

٣ـ أن الله هو الموجد للعبد من عدم فلا يمكن أن يكون له موجد غير الله، كما لا يمكن أن يكون أوجد نفسه ، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ

١ - انظر طريق الهجرتين ١/ ٢٢ ، ٢٧ .

٢ - انظر مجموع الفتاوى ٤/ ٣٢٠ ، وانظر بدائع الفوائد ٢/ ٢٧٥، وشفاء العليل ١/ ٩٨ .

ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور] وإذا كان كذلك فلا يمكن أن يستغني عنه طرفة عين . [1]

٤ـ أن العبد لا يمكن أن يستقل بنفع دونه . قال سبحانه: ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [الأعراف] فإذا كان هذا الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فمن دونه من باب أولى وقال سبحانه : ﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ ﴾ [الفتح] .

٥ـ أن العبد محتاج إلى من يرشده إلى ما يفعله من تفاصيل أحواله وإلى ما يتركه من مثل ذلك ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بالرب جل وعلا[2] ، قال ﷺ : ((**اللهم رحمتك أرجو فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين**)) [3] وأيضا حديث عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم يفتتح صلاته إذا قام من الليل ؟ قالت كان إذا قام من الليل افتتح صلاته : ((**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم**

١ - انظر تفسير ابن كثير ٧/ ٤٣٧ ، وبيان تلبيس الجهمية ١/ ١٦٥ .رواه أبو داود (ح ٥٠٩٠) وأحمد في المسند (٥/ ٤٢) وحسنه الألباني .

٢ - انظر مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٢٠ ، وشرح الطحاوية ٣٦٢ .

٣ - رواه أبو داود (ح ٥٠٩٠) وأحمد في المسند (٥/ ٤٢) وحسنه الألباني .

الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم)) [١]

٦ـ أن العبد إذا علم ما ينفعه وما يضره إحتاج إلى من يجعله قادرا على العمل بما ينفعه ودفع ما يضره وإن لم يكن الله معينا له فلا معين.[٢]

٧ـ أن العبد محتاج إلى أن يلهمه ربه أن يعمل العمل النافع ويوفقه إلى العمل الصالح فإنه لا يكفي مجرد علمه إن لم يجعله مريدا للعمل بما يعلمه وإلا كان العلم حجة عليه ووبالا . [٣]

٨ ـ أن العبد بحاجة إلى التوفيق فلا يكفي العلم والعمل حتى يوفق ويهدى قال سبحانه : ﴿ **مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** ﴾ [الكهف: ١٧] وإذا لم يكن الله له هاديا فلا هادي له.[٤]

٩ـ أنه إذا علم وعمل ووفق فهو بأشد الحاجة إلى الثبات على ذلك إلى الممات ، وهذا لا يكون إلا بتحقيق توحيد الربوبية فإن الرب هو الذي بيده

---

١ - رواه مسلم (ح٢٠٠)

٢ - انظر مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٢٠ ، وشرح الطحاوية ٣٦٢ .

٣ - انظر شرح العقيدة الطحاوي ٣٦٢ وانظر منهاج السنة ١/ ٤٢١ ، ودرء التعارض ٢/ ١٨٨ . وطريق الهجرتين ١/ ١٥٩ .

٤ - انظر مدارج السالكين ١/ ٤١٣ .

القلوب يصرفها كيف يشاء[1] ، ولذا كان ﷺ كما في حديث أنس يكثر من قوله : ((**يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنا وبك وبما جئت به فهل تخاف علينا.؟ قال نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كما يشاء.**))[2]

١٠ ـ أن الله هو المعطي المانع لا معطي لما منع ولا مانع لما أعطى وطلب هذا من تحقيق توحيد الربوبية ولذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يجمعها في الصلاة كما ثبت عنه في الصحيح : أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع يقول : ((**ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ملء السماوات وملء الأرض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قاله العبد وكلنا لك عبد**)) [3] فهذا حمد وهو شكر لله تعالى وبيان أن حمده أحق ما قاله العبد ثم يقول بعد ذلك : [لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد] وهذا تحقيق لوحدانيته لتوحيد الربوبية خلقا وقدرا وبداية ونهاية. [4]

---

١ - انظر الاستقامة ٢/ ٢٥٣ ، ومجموع الفتاوى ٢٨/ ١٤٩ ، ومدارج السالكين ٣/ ٥١١ .

٢ - الترمذي (٢١٤٠) وصححه الألباني ـ رحمه الله ـ .

٣ - رواه مسلم (ح ٤٧١)

٤ - انظر مجموع الفتاوى ١٤/ ٢٧٦ ، وشرح الطحاوي ٣٦٢ .

١١ـ من المعلوم أن الله جعل لكل شيء سببا والله هو المسبب للأسباب وموجدها ، والإنسان محتاج إلى ذلك في كل أحواله ، فإن لم يكن الله معينا له فلن يتم له شيء فوجب الإيمان بذلك وطلب العون منه .[1]

١٢ـ ومن المعلوم أيضاً أنه ليس شيء من الأسباب مستقلا بمطلوب إذ لا بد من انضمام أسباب أخر إليه، ولا بد أيضا من صرف الموانع والمعارضات عنه حتى يحصل المقصود فكل سبب فله شريك وله ضد فإن لم يعاونه شريكه ولم ينصرف عنه ضده – : لم يحصل مسببه ولا يكون ذلك إلا بعون الله وتوفيقه المستمدة من معرفته وتوحيده .

مثال ذلك :

المطر وحده لا ينبت النبات إلا بما ينضم إليه من الهواء والتراب وغير ذلك ، ثم الزرع لا يتم حتى تصرف عنه الآفات المفسدة له، والطعام والشراب لا يغذي إلا بما جعل في البدن من الأعضاء والقوى ومجموع ذلك لا يفيد إن لم تصرف عنه المفسدات .

---

١ – مجموع الفتاوى ٨/ ١٦٩ ،

ومن عرف ما تقدم حقيقة المعرفة انفتح له باب توحيد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وعلم أنه لا يستحق أن يعبد أو يسأل غيره فضلا عن أن يعبد غيره أو يسأله أو يتوكل عليه .[1]

والأمثلة على هذا النوع يطول ذكرها ولعل ما ذكر يغني عن مالم يذكر.

أما النوع الثاني وهو إفراد الله به فهو نتيجة حتمية للأول فإن العبد إذا عرف ربه بأنه الخالق الرازق المحيي المميت المعطي المانع النافع الضار المالك المدبر المتصرف بكل شيء لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور إذا عرف ذلك واعتقده زاد قربا من ربه وتعلقا به وتحقيقاً لربوبيته فهداه ربه ووفقه وسهل له أمره ويسره لليسرى وجنبه العسرى وهذا غاية ما ينشده العبد.

وبالمقابل إذا جحد هذا النوع من التوحيد أو أعرض عن تحقيقه أو قصر في مفهومه ومعرفته فإنه بقدر تقصيره يكون ضلاله وبعده عن ربه وهلاكه، وما ضل من ضل إلا بجهله بربه ، وما فسق من فسق إلا ببعده عن معرفة

١ - انظر شرح الطحاوية ١/ ٣٦٢ .

صفاته وخصائص ربوبيته ، وما عصى من عصى إلا بجهله بحقوقه وأوامره وشرائعه وعظمته ، وإلا لو عرف العبد ربه حق المعرفة ما عـصاه ولا خـرج عن طوعه .

الفصل الرابع :

كلمة " رب " ومدلولاتها

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مدلولات كلمة " رب "

المبحث الثاني : إطلاق كلمة " الرب ".

المبحث الثالث : أنواع ربوبية الله لخلقه.

المبحث الأول :

مدلولات كلمة " رب "

قال الراغب رحمه الله تعالى : " الرب في الأصل التربية وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، يقال ربه ورباه ورببه" [١] .

وكلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معانٍ.

١) على السيد المطاع ، قال الله تعالى : ﴿ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ [يوسف]. [٢]

٢) على المالك ، قال تعالى : ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف:٤٢] ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾

١ – المفردات للراغب مادة ربب

٢ـ يجوز إطلاق كلمة سيد مجردة من الألف واللام على المخلوق بلا نزاع ، لقوله تعالى : {وألفيا سيدها لدى الباب } وقوله ﷺ : " أنا سيد ولد آدم " وقوله صلى الله عليه وسلم : " قوموا إلى سيدكم " والفقهاء يقولون : " إذا قال السيد لعبده .أما إذا اضيفت إلى الألف واللام فهل يجوز إطلاقها على غير الله تعالى ؟ الصحيح الجواز لعدم النهي ما لم تفد محذورا كأن يتوهم أن المخاطب بها أو المتكلم قد حاز جميع أنواع السؤدد أو بمعنى آخر يراد بها جنس السؤدد ، أو يراد بها الغلو والإطراء فعندئذ يمنع لقوله صلى الله عليه وسلم لمن قاله له : أنت سيدنا وابن سيدنا ... قال " إنما السيد الله " أي الذي كمل سؤدده . والله أعلم انظر تيسير العزيز الحميد ٥٨٨ وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ٤٩٢ و القول المفيد ٣/ ١٠٠ ، وبدائع الفوائد ٣/ ٧٢٩.

٣) على المربي المتعهد (القائم) بالإصلاح . قال ﷺ : ((**وأن تلد الأمة ربها**)) [(١)] [(٢)]

٤) كما تطلق على المعبود ، ومنه قول الشاعر :

أرب يبول الثعلبان برأسه ... لقد هان من بالت عليه الثعالب .

قال ابن منظور: " الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبِّر، والمربي، والقيِّم، والمنعم... ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه.

ويقال: فلان رب هذا الشيء أي مِلْكُه له.

وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو ربُّ الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت، وهن ربات الحجال "[(٣)] .

أما الرب من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال – تعالى – ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف] وقال : ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [الزمر].

---

١ – رواه البخاري (ح ٥٠) ومسلم (ح ٨) .

٢ ـ عرفها ابن سعدي رحمه الله بأنها : (تربية الله لخلقه ، وتنشأته لهم بما أفاض عليهم من نعمه العظيمة ، وآلائه الجسيمة ، التي بها يكون بقاؤهم ، وعليها ينبني أساس استخلافهم في الأرض) تيسير الكريم المنان ١/ ٣٤ .

٣ ـ لسان العرب مادة ربب .

وقال تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝ ﴾ أي : خالقهم ومالكهم، ومصلحهم ومربيهم بنعمه، وبإرسال رسله ، وإنزال كتبه ، ومجازيهم على أعمالهم .

وقال العلامة ابن القيم – رحمه الله – : " .. فإنَّ الربوبية تقتضي أمر العباد ونهيهم ، وجزاء مُحسنهم بإحسانه ، ومُسيئهم بإساءته." [١] .

وقال ابن منظور: " الرب: هو الله – عز وجل – هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك "[٢]

ومن هنا يتبين أن لكلمة " الرب " عدة معان كلها يصح إطلاقها على الله عز وجل بكمالاتها المطلقة فهو المربي للأشياء ينميها وينقلها من طور إلى طور حتى يبلغ بها غاية التمام .

وهو المالك لها السيد عليها المطاع فيها المدبر لمصالحها القائم بحفظها.

ولهذا كانت شئون الربوبية كلها من الخلق والرزق والتدبير إلخ مختصة بالله سبحانه وحده لا شريك له ، وهذا أمر مركوز في الفطر السليمة .

---

١ – مدارج السالكين ١/ ٦٨ .

٢ – لسان العرب مادة (ربب)

وهو سبحانه رب العالمين ، وحده لا شريك له المالـك لجميـع شـؤونهم الخالق لهم المدبر لأحوالهم المالك المتصرف، الخالق الرازق، المحيي المميـت، المدبر، السيد، المطاع... الذي: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبياء] له صفات الكمال المطلق، ويجب صرف العبـادة لـه وحـده ، إذ هـو الإله الحق.

قـال سـبحانه :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾[الأعراف] وقال سبحانه : ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف]

المبحث الثاني :

إطلاق كلمة " الرب "

لا تطلق كلمة (الرب) معرفة بالألف واللام من غير إضافة إلا على الله جل وعلا ، لتكفله سبحانه بمصالح الموجودات ، قال تعالى :﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢ ﴾ وقال : ﴿ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝١٢٦ ﴾ [الصافات] ولاشتمالها على العموم ولاستغراقها جميع معان الربوبية التي لا تصلح بمجموعها إلا له جل وعلا. [١]

أما إذا جردت من الألف واللام جاز إطلاقها على الله وعلى غيره ، كما يقال : رب الدار ؛ وربُّ الفرس . يعني صاحبُها ، ومنه قولُه تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : ﴿ ٱذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَـٰهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ ذِكْرَ ﴾ [يوسف: ٤٢]. وقوله تعالى ﴿ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٥٠]. ﴿ يَـٰصَـٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٤١]وقال - صلى الله عليه وسلم - في ضالة الإبل : ((**حتى يجدها ربها**)). متفق عليه.[٢]

قال ابن منظور: " ولا يطلق غير مضاف إلا على الله - عز وجل - وإذا أطلق على غيره أضيف، فقيل: ربُّ كذا.

---

١ - انظر تفسير القرطبي ١/ ١٣٧ .

٢ - تقدم تخريجه قريبا .

قال: وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله – تعالى – وليس بـالكثير، ولم يذكر في غير الشعر".[١]

مسألة :

اختلف أهل العلم في النهي الوارد في الـصحيحين عـن أبي هريـرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال : ((**لا يقـل أحـدكم أطعـم ربك وضئ ربك، وليقل : سيدي ومولاي ، ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي .**)) [٢][٣]

هل هذا النهي للتحريم أو للتنزيه ؟

وبيان ذلك فيما يلي :

أولا : اتفقوا على أن علة النهي هو إيهام المشاركة بين الخالق والمخلوق في اللفظ .

قال الخطابي وسبب المنع أن الإنسان مربوب معبد بإخلاص التوحيـد لله تعالى وترك الإشراك به فترك المضاهاة بالاسم لئلا يـدخل في معنـى الـشرك ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد. [٤]

---

١ – لسان العرب مادة : ربب .

٢ – رواه البخاري (ح ٢٤١٤) ومسلم (٢٢٤٩) .

٣ – انظر تيسير العزيز الحميد ٦٥٣، وحاشية ابن قاسم ٣٤٥ .

٤ – فتح الباري ٥/ ١٧٩ وعمدة القاري ١٣/ ١١١ و انظر تيسير العزيز الحميد ٥٧٨ .

ثانيا : إذا جردت من الألف واللام وأضيفت إلى غير العاقل جاز ذلك بلا خلاف . قال الخطابي : "وأما من لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره أن يطلق ذلك عليه عند الإضافة كقوله رب الدار والثوب.[1]

ثالثاً : إذا أطلقت على العاقل فقد اختلفوا في جواز ذلك من عدمه على قولين مبناهما على فهم قوله ﷺ : ((**لا يقل أحدكم أطعم ربك وضئ ربك اسق ربك وليقل سيدي مولاي ولا يقل أحدكم عبدي أمتي وليقل فتاي وفتاتي وغلامي.**)) [2] هل النهي فيه للتحريم أم للكراهة ؟ على قولين :

الأول : أنه النهي للتحريم ورجحه ابن مفلح ـ رحمه الله ـ : بقوله: (ظاهر النهي التحريم ، وقد يحتمل أنه للكراهية ، وجزم به غير واحد من العلماء .

فإن قلت : قد قال الله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام : {اذكرني عند ربك} ، وقال النبي ﷺ في أشراط الساعة : ((**وأن تلد الأمة ربتها**)) فهذا يدل على الجواز .

قيل : أما الآية ففيها جوابان :

---

١ - انظر تيسير العزيز الحميد ٥٧٨ .

٢ - رواه ا البخاري (ح٢٤١٤) ومسلم (ح١٥) .

أحدهما وهو الأظهر: أن هذا جائز في شرع من قبلنا ، وقد ورد شرعنا بخلافه .

الثاني : أنه ورد لبيان الجواز والنهي للأدب والتنزيه دون التحريم .

وأما الحديث ((وأن تلد الأمة ربتها)) [1] فعنه ثلاث إجابات :

١) أنه ليس من هذا الباب للتأنيث ، فإن الله يقال له رب ، ولا يقال له ربة ، والنهي إنما ورد للذكر لما فيه من إيهام المشاركة في الربوبية، وهو معدوم في الأنثى .

٢) أن يقال بحمله على الكراهية في الأنثى أيضاً لورود الحديث بذلك دون الذكر ، لأنه لم يرد فيه إلا النهي .

٣) أن يقال وهو أظهر : إن هذا ليس فيه إلا وصفها بذلك لادعائها به، وتسميتها به ، وفرق بين الدعاء [يا رب] والتسمية [هذا ربي] وبين الوصف [أن تلد الأمة ربتها] كما تقول : زيد فاضل، فتصفه بذلك ولا تسميه به ولا تدعوه به).[2] وكما قال سبحانه : ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ ﴾ النور: ٣٢ وهذا من قبيل الإضافة ، مثل ما لو

---

١ - رواه البخاري (ح٥٠) ومسلم (ح١) .

٢ - تيسير العزيز الحميد ٦٥٣ .

قلت هذا عبد فلان ، وهذه أمة فلان ، فإن هذا جائز ، لأن إيهام المـشاركة في الربوبية منتفي .

أما قوله : " لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي " [1] فإنـه يـوهم مـشاركة الله في ربوبيته وملكه في اللفظ وهذا منهي عنه.

والتحقيق أن المسألة لا تخلوا من أمرين :

أحدهما : أن يكون اللفظ موهما للمشاركة بـين الخـالق والمخلـوق فهـذا يحرم تحقيقا للتوحيد وسداً لذريعة الشرك .

والثاني : أن ينتفي محظور إيهام المشاركة بالإضافة فهذا جائز

وتفصيل ذلك :

أن الإضافة على أنواع :

أ ـ أن يضاف إلى ضمير المخاطب المفرد فيحرم كما في الحـديث " لا يقـل أطعم ربك ".

ب ـ أن تكون الإضافة إلى ضـمير المخـاطبين " الجمـع " فيجـوز كقولـه تعالى: ﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ﴾[النور: ٣٢]

---

١ – رواه أبو داود (ح٤٩٧٥) وصححه الألباني.

ج ـ أن تكون الإضافة إلى ضمير الغائب فالصحيح الجواز لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : " وأن تلد الأمة ربها "

د ـ أن تكون الإضافة إلى ضمير المتكلم ، فالصحيح عدم الجواز لإيهام المشاركة ، قال ابن حجر ـ رحمه الله ـ " وفيه نهى العبد أن يقول لسيده ربي وكذلك نهى غيره فلا يقول له أحد ربك ويدخل في ذلك أن يقول السيد ذلك عن نفسه فإنه قد يقول لعبده أسق ربك فيضع الظاهر موضع الضمير على سبيل التعظيم لنفسه والسبب في النهي أن حقيقة الربوبية لله تعالى لأن الرب هو المالك والقائم بالشيء فلا توجد حقيقة ذلك إلا لله تعالى"[1]، فإن قيل ، قد قال الله تعالى : { هذا ربي } والجواب أنه هذا في شرع من قبلنا وقد ورد شرعنا بخلافه .

هـ ـ أن يضاف إلى اسم ظاهر، كقولهم : رب الغلام فظاهر الحديث الجواز مالم يوهم المشاركة أو يوجد محذور يمنع ذلك .[2]

فتبين بهذا : أن الرب يطلق على الله معرفًا ومضافًا ، فيقال : الرب ، أو رب العالمين ، أو رب الناس، ولا تُطلق كلمة الرّبِّ على غير الله إلا مضافة ، مثل : رب الدار ، ورب المنزل ، ورب الإبل، وكره بعضهم إضافتها إلى العاقل.

---

١ – فتح الباري ٥/ ١٧٩ .

٢ – انظر تيسير العزيز الحميد ص ٦٥٣ وفتح المجيد ص٤٤٣ ، حاشية ابن قاسم على كتاب التوحيد ٣٤٥، والقول المفيد ٢/ ٣٣٩ــ٣٤٠ ، وتفسير القرطبي رحمه الله ١/ ٢٤٦ . وفتح الباري ٥/ ١٧٩ ، وشرح النووي على مسلم ١٥/ ٦ .

المبحث الثالث :

أنواع ربوبية الله لخلقه

تربية الله لخلقه على نوعين :

١ـ عامة : وهي خلقه للمخلوقين ورزقهم وهدايتهم لما فيه مصالحهم التي فيها بقاؤهم ، فهي شاملة لجميع المخلوقات برها وفاجرها مكلفيها وغير مكلفيها لا يخرج عنها أحد .

٢ـ خاصة : هي تربيته لأوليائه فيربيهم بالإيمان ويوفقهم له ويكملهم ويدفع عنهم الصوارف والعوائق الحائلة بينهم وبينه .فهي خاصة بأوليائه وأصفيائه . وحقيقتها التوفيق لكل خير والعصمة من كل شر . ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء بلفظ الرب فإن مطالبهم كلها داخلة تحت ربوبيته الخاصة . [1]

١ - تفسير ابن سعدي ١/ ٣٤ .

الفصل الخامس:

من صفات الربوبية

من المعلوم أن لله صفات كثيرة لا يمكن حصرها ، لكن له سبحانه أكمل الصفات وأعدلها وأعلاها وأجلها، فهو الخالق الرازق المحيي المميت الـذي بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجـير ولا يجـار عليـه ، المـدبر شـؤون الخلـق ، القادر فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم ، القاهر فوق عباده ، القوي المتين الذي لا يغلب ولا يقهـر ، بعـزه يعـز مـن يـشاء ، وبسلطانه وجبروته يذل من يشاء ، يؤتي الملك من يشاء وينزعه ممـن يـشاء ، لا راد لأمره وهو العزيز الحكيم ، الظاهر الـذي لـيس فوقـه شيء والبـاطن الذي ليس دونه شيء، الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نـوم ، لـه مـا في السموات والأرض ، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا رطب ولا يابس إلا يعلمه ـ جل وعلا ـ له الـصفات العظيمـة، والآلاء الجسيمة فتبارك الله رب العالمين .

وكل ما كان الخلق إلى صفة من صفاته أحوج كل ما كان ظهورهـا بيـنهم أكثر .

وقد عد بعض أهل العلم ثلاث صـفات تجمـع صـفات الربوبيـة وبقيـة الصفات تعود عليها ، وهذه الصفات هـي : صـفة الخلـق ، وصـفة الملـك، وصفة التدبير وسأعرض لكل صفة على حده :

١ـ صفة الخلق :

صفة الخلق من صفات الله ـ جل وعلا ـ التـي لا يجـوز إطلاقهـا معرَّفـة بالألف واللام إلا عليه وحده ، وهو الموجد من عدم على غير مثال سـابق ، وصفة الخلق من أظهر صفات الربوبية ، ولهذا أقرت بها جميع الأمم ، ولهـذا احتج الله على المشركين بهـا كـما في قولـه تعـالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٣ ﴾ [فاطر]

وقـال تعـالى مبينـاً بطـلان آلهـة الكفـار : ﴿ أَفَمَن يَخۡلُقُ كَمَن لَّا يَخۡلُقُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٧ ﴾ [النحل] فالله تعالى وحده هو الخالق، خلق كل شيء فقدره تقديراً ، وخَلْقُهُ يشمل ما يقع من مفعولاته، وما يقع من مفعولات خلقـه ، ولهذا كان من تمام الإيمان بالقدر أن تؤمن بـأن الله– تعـالى– خـالقٌ لأفعـال العباد كما قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ ﴾ [الصافات] .[1]

كما أن خلقه سبحانه عام شامل لكل مخلوق وهو من أخص صفاته جـل وعلا ولذا ألزم المشركين المقرين بـذلك أن يعبـدوه قـال تعـالى :﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ

---

١ - انظر القول المفيد ١/ ٩ـ١٠

أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [البقرة]

قال ابن كثير رحمه الله : "يقول تعالى : { إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ } تلك في ارتفاعها ولطافتها واتساعها وكواكبها السيارة والثوابت ودوران فلكها ـ وهذه الأرض في كثافتها وانخفاضها وجبالها وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع واختلاف الليل والنهار هذا يجيء ثم يذهب ويخلفه الأخر ويعقبه لا يتأخر عنه لحظة كما قال تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس] وتارة يطول هذا ويقصر هذا وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان كما قال تعالى : ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ [فاطر: ١٣] أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ أي في تسخير البحر بحمل السفن من جانب إلى جانب لمعايش الناس والانتفاع بها عند أهل ذلك الأقليم ونقل هذا إلى هؤلاء ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ كما قال تعالى : ﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يس]

{ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ } أي على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها فهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك كما قال تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود] وتصريف الرياح } أي فتارة تأتي بالرحمة وتارة تأتي بالعذاب وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب وتارة تسوقه وتارة تجمعه وتارة تفرقه وتارة تصرفه.. { والسحاب المسخر بين السماء والأرض } أي سائر بين السماء والأرض مسخر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن كما يصرفه تعالى : {لآيات لقوم يعقلون } أي في هذه الأشياء دلالات بينة على وحدانية الله تعالى." (١)

وقال ابن جرير رحمه الله : "أخبرهم أن إلههم هو الله الذي أنعم عليهم بهذه النعم وتفرد لهم بها ثم قال : هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء فتشركوه في عبادتكم إياي وتجعلوه لي ندا وعدلا ؟ فإن لم يكن من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ففي الذي عددت عليكم من نعمتي وتفردت لكم بأيادي دلالات لكم إن كنتم تعقلون مواقع الحق والباطل

١ - تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٤

والجور والإنصاف وذلك أني لكم بالإحسان إليكم متفرد دون غيري وأنتم تجعلون لي في عبادتكم إياي أندادا فهذا هو معنى الآية. "(١)

ثانيا : صفة الملك :

يجب إفراد الله- تعالى- بالملك فالله -تعالى- وحده هو المالك كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ الفرقان وقال سبحانه: ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [الملك]

وقال تعالى :﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ﴾ [المؤمنون: ٨٨] وملك الله ملك حقيقي ثابت من كل وجه.(٢) وحقيقة ملكه إنما تتم بالعطاء والمنع والإكراه والإهانة ، والإثابة والعقوبة قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر] وقال سبحانه : ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن] قال ابن عباس رضي الله عنه فمن شأنه أنه يغفر

---

١ - تفسير ابن جرير ٢/ ٦٥ .

٢ - شفاء العليل ٢/ ٦٠٩ .

ذنباً ويكشف كرباً وينصر مظلوماً ويأخذ ظالماً ، ويفك عانيـاً ويغنـي فقـيراً ويجبر كسيراً ، ويشفي مريضاً ، ويقيل عثرة ويستر عورة ، ويعز ذليلاً ويـذل عزيزاً ، ويداول الأيام بين الناس فيرفع أقواماً ويضع آخرين ، لا ينازعـه في ملكه منازع ولا يعارضه معارض ، له الملك المطلق.[١]

فهو سبحانه الملك الذي لا ملك فوقه ولا شيء إلا دونه[٢] وهـو المالـك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة [٣] .

ومن كمال ملكه سبحانه شـموله لملـك الـدنيا والآخـرة ، ولهـذا خـص سبحانه نفسه بأنه مالك يوم الدين ؛ لأن ادعاء غيره ملكـاً في ذلـك الوقـت ممتنع ؛ بخلاف الدنيا فقد يدعي مدع أن له الملك المطلق ولذا فـإن الله جـل وعلا ينادي يوم القيامة فيقول : " لمن الملك اليوم " فلا يجيبه أحد ، فيجيـب نفسه بقوله " لله الواحد القهار. [٤]

وعن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ ((**يطـوي الله عز وجل السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك**

---

١ – انظر طريق الهجرتين ٢٢٨.

٢ – تفسير ابن جرير ١٢/ ٥٩.

٣ – تفسير ابن كثير ٤/ ٤٣٩ .

٤ – انظر شعب الإيمان ١/ ٣٠٩ .

أين الجبارون ؟ أين المتكبرون ؟ ثم يطوي الأرضين بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون ؟ أين المتكبرون.)) [١]

وملك الله عام مطلق شامل ، ونسبة الملك إلى غيره نسبة إضافية فقد أثبت الله عز وجل لغيره الملك كما في قوله تعالى : ﴿ **أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ** ﴾[النور: ٦١]وقوله ﴿ **إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ** ﴾ [المؤمنون: ٦]. فدلت هذه النصوص وغيرها أن لغير الله تعالى ملكاً لكن هذا الملك ليس كملك الله عز وجل فهو ملك قاصر، وملك مقيد.[٢]

ثالثاً : تدبير الأمر

من صفات ربوبية الله جل وعلا صفة التدبير، ولذا يجب اعتقاد أن الله عز وجل متفرد بالتدبير فهو الذي يدبر الخلق ويدبر السماوات والأرض كما قال الله سبحانه وتعالى : (﴿ **أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾** ﴾ [الأعراف] وهذا التدبير شامل لا يحول دونه شيء ولا يعارضه شيء .

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا**

---

١ رواه مسلم (ح ٢٤) .

٢- انظر القول المفيد ١/ ١٠-١١ .

تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس] وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس]

إن تدبير الأمر في هذا العالم لمن آيات الله الباهرة: فهو الذي سخر الشمس تطلع صباحا وتغرب مساء؟! ولكل وقت مكان غروب وشروق .قَالَ تَعَالَى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [فاطر]

وهو الذي أجرى القمر في فلك معين لا يحيد عنه ؟! حتى عاد في آخر الشهر ﴿ ﴿ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[يس]

وهو الذي يحيي ويميت ، ويعز ويذل ويغني ويفقر ، ويقبض ويبسط، يدبر الأمر من السماء إلى الأرض الذي أنزل من السماء ماءاً فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة.

وفي شعر أمية بن أبي الصلت الذي آمن شعره وكفر قلبه كما ورد في الحديث ويروى لزيد بن عمرو بن نفيل رضي الله عنه :

وأنت الذي من فضل ومن رحمة ... بعثت إلى موسى رسولا مناديا

فقلت له فاذهب وهارون فادعوا ... إلى الله فرعون الذي كان طاغيا

وقولا لـه هـل أنـت سـويت هـذه	بـلا وتـد حتـى اسـتقلت كـما هيـا
وقـولا لـه أأنـت رفعـت هــذه	بــلا عمــد أو فــوق ذلــك بانيــا
وقولا له هل أنت سـويت وسـطها	منـيرا إذا مـا جنـك الليـل هاديـا
وقولا له من يرسل الشمس غـدوة	فيـصبح مامـست مـن الأرض ضـاحيا
وقولا له من أنبت الحب في الثـرى	فيـصبح منـه العـشب يهتـز رابيـا
ويخــرج منــه حبــه في رؤوســـه	ففي ذاك آيـات لمـن كـان واعيـا[1]

وهو سبحانه مع هذا التدبير لا يشغله شأن عن شأن، بل هو محيط بعلم كل شيء، ليس معه شريك ولا ند.

قــال تعــالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الرعد: ٢]

---

١ - تفسير ابن كثير ٢/ ٦٥٦ .

قال ابن جرير ـ رحمه الله ـ "قوله : { يـدبر الأمـر } يقـول تعـالى ذكـره : يقضي الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها أمور الـدنيا والآخـرة كلهـا ويدبر ذلك كله وحده بغير شريك ولا ظهير ولا معين سبحانه.[1]

---

١ – تفسير الطبري ٧/ ٢٢٧ .

الفصل السادس :

لم ينكره أحد وفيه ثلاثة مباحث

المبحث الأول : إقرار الأمم بهذا التوحيد .

المبحث: الثاني هذا الإقرار لا يكفي للدخول في الإسلام .

المبحث الثالث: بعض من شذ فأنكره .

المبحث الأول :

إقرار الأمم بهذا التوحيد

من المعلوم أن هذا التوحيد لا ينازع فيه أحد مطلقاً إلا من شد ولا عبرة بالشاذ ، ولذا فكل الأمم مسلمهم وكافرهم صغيرهم وكبيرهم قد أقروا واعترفوا بربوبية الله لهم؛ بل حتى البهائم عرفت ربها وسبحت بحمده؛ بل حتى الجمادات كما قال جل وعز : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۗ ﴾ [الإسراء: ٤٤] ولذا فإن هذا التوحيدُ لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ؛ بل القلوب مفطورة على الإقرار به ؛ أعظم من كونها مفطورة على الإقرار بغيره من الموجودات ؛ كما قالت الرسل فيما حكى الله عنهم : ﴿ قَالَتۡ رُسُلُهُمۡ أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَدۡعُوكُمۡ لِيَغۡفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرَكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ قَالُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ ﴾ [إبراهيم].

وما من أمه بعث الله لها رسول إلا كان أول ما يدعوهم إليه هو عبادة الله جل وعلا لا إلى التعرف إليه ولذا لم يقل رسول من الرسل لقومه تعرفوا إلى الله أو اعرفوا ربكم بل كانوا يدعوتهم إلى عبادة الله وحده فكل الرسل قالوا لأقوامهم :﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ [الأعراف: ٥٩]

إذن فليس في هذا التوحيد نزاع بين الرسل والأمم؛ ولهذا أخبر الله عن قوم صالح الكفار الذين تمالئوا على قتل نبي الله صالح أنهم مقرون بالله ،

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النمل] وقال سبحانه : ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النمل]. فهم تقاسموا بالله يريدون قتله وهم مقرون، فمع كفرهم فهم مقرون بربوبيتة وبوجود الله ولم ينكروه.

وكذلك قوم نوح ومن جاء بعده من الرسل كقوم هود وموسى وإبراهيم وعيسى وكفار قريش كلهم يقرون بتوحيد الربوبية ، كما أخبر عنهم سبحانه في مواضع كثيرة من كتابه .

قال في التيسير : "وهذا القسم من التوحيد لم يعارض فيه المشركون الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم، بل كانوا مقرين به إجمالاً ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ الزخرف فهم يقرون بأن الله هو الذي يدبر الأمر، وهو الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ..." [١]

والآيات الدالة على أنهم مقرون به كثيرة معلومة، منها قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الزخرف] وقوله :

١ – تيسير العزيز الحميد / ٣٣ ، وانظر القول المفيد ١/ ١٤ .

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [العنكبوت]

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [العنكبوت] وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون]

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس]

إذًا هم مقرون بهذا التوحيد، ولم ينكروه؛ لأن الأمر فطريّ، فطر الله عليه جميع طوائف بني آدم إلا من شذ .

وهنا مسألتان يحسن ذكرهما :

المسألة الأولى: هل إقرارهم به يعني أنهم أتوا به على الوجه الأكمل ؟

في الحقيقة ليس معنى إقراره المشركين بتوحيد الربوبية أنهم أتوا به على الوجه الأكمل ؛ بل إنما كانوا يقرون به إجمالا كما حكى الله عنهم في الآيات السابقة ؛ لكنهم كانوا يقعون في أشياء تخل به وتقدح فيه ؛ ومن

ذلك اعتقادهم في الكهنة والسحرة بأنهم يعلمون الغيب واعتقادهم أن آلهتهم التي يزعمون تنفع وتضر ، أو أنها مصدر للخير والبركة ، إلى غير ذلك من صور الشرك في الربوبية ؛ لكنها تبقى قليلة محصورة إذا ما قورنت بصور شركهم في الإلهية والعبادة. [1]

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾** ﴾ [يوسف] قال ابن عباس تسألهم من خلق السموات والأرض فيقولون الله وهم يعبدون غيره .[2]

فالكفار المشركون مقرون أن الله خالق السموات والأرض وليس في جميع الكفار من جعل لله شريكا مساويا له في ذاته وصفاته وأفعاله هذا لم يقله أحد قط لا من المجوس الثنوية ولا من أهل التثليث ولا من الصائبة المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة ولا من عباد الأنبياء والصالحين ولا من عباد التماثيل والقبور وغيرهم فان جميع هؤلاء وان كانوا كفارا مشركين متنوعين في الشرك فهم مقرون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله ولكنهم مع هذا مشركون به في ألوهيته أن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شفعاء أو شركاء أومشركون في ربوبيته بأن يجعلوا غيره رب بعض الكائنات دونه مع اعترافهم بأنه

---

١ – تيسير العزيز الحميد / ٣٣ ، وانظر القول المفيد ١/ ١٤ .

٢ – مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ١١/ ٥٠

رب ذلك الرب وخالق ذلك الخلق . وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد.[١]

المسألة الثانية : الغرض من سياق الربوبية في القرآن :

قد يتساءل البعض فيقول : إذا كان الخلق كلهم مقرون بربوبية الله جل وعلا فلماذا ساق الله سبحانه وتعالى في كتابه وكرر ذكر ربوبيته كثيراً ؟ والجواب أن يقال :

لقد تنوعت الأساليب التي ساق الله فيها ذكر الربوبية في كتابة ومن يتتبعها يدرك أنها تدور حول قضية واحدة، وهي الدعوة إلى عبادة وحده سبحانه وترك عبادة من سواه. وإليك أخي القارئ الكريم شيئاً من تلك الأساليب :

١. المجادلة العقلية للمشركين في بيان بطلان معبوداتهم ووجوب عبادة الرب جل وعلا ، وقد تعددت الطرق التي ذكرها سبحانه في هذا الدليل العقلي ومنها :

أ ـ بيان أنهم لا يخلقون بل يخلقون فكيف يستحق المخلوق الضعيف أن يعبد ؟ وما الفرق بينه وبين العابد ؟! قال سبحانه : ﴿ **أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ**

١ – المصدر السابق وانظر ١٤/ ٣٧٧

شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الطور]

ب ـ مقارنة صفات المعبود الحق بصفات المعبود الباطل وبيان أنها لا تملك من صفات الربوبية شيء ولذا وجب عبادة الرب الحق وترك كل معبود باطل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم]

وقال سبحانه : ﴿ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس]

ج ـ بيان سفه عقولهم كيف يعبدون من دون الله مالا يملك لهم نفعاً ولا ضراً ويتركوا النافع الضار الذي بيده ملكوت كل شيء ، قال سبحانه: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾[يونس]

٢. تجهيلهم بقولهم على الله بلا علم ، قال سبحانه : ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَمَا لَيۡسَ لَهُم بِهِۦ عِلۡمٞۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٖ ﴿٧١﴾ ﴾ [الحج]

٣. احتجاج الله عليهم بما أقروا به بما أنكروه :

احتج سبحانه بهذه الاعتراف على ضلال مسلكهم في عبادتهم غيره، وتوجههم إلى سواه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [يونس].

وقال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [العنكبوت] ذلك أن المنطق العقلي يقتضي أن تصرف العبادة إلى الخالق الرازق ، الذي بيده مقاليد الأمور، أما صرفها إلى من لا يملك لنفسه ضرا ، ولا نفعاً – فضلا عن غيره – فهذا مما لا تقر به العقول السليمة ، ولا تؤيده الفطر المستقيم.

٤. ضرب الأمثال على بطلان كل ما عبد من دون الله وهذا كثير في كتاب الله وقد تنوعت الأساليب في ضربها ومنها :

أولا : ضرب الأمثال للمقارنة بين المعبود حقا والمعبود كذبا وزورا، قال سبحانه : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد]

ثانيا : ضرب الأمثال لبيان بطلان المعبودات من دون الله وأنها لا تملك أن تدفع عن نفسها الضر ولا تجلب لنفسها النفع فكيف بغيرها ، بل كيف

تستحق أن تعبد : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل]

ثالثاً : ضرب الأمثال لبيان خفة عقولهم وضلالهم ووهن ما عبدوه من دون الله قال سبحانه : ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [العنكبوت]

رابعاً : ضرب الأمثال لبيان هوان هذه المعبودات وشدت ضعفها مهما وصفت فيه من القوة والجبروت قال سبحانه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج]

خامساً : ضرب الأمثال لبيان قدرة الله جل وعلا على إحياء الموتى والبعث والنشور وهذا مالا يمكن أن يكون من المعبودات من دون الله ، وهو كثير في كتاب الله جل شأنه فقد عد سبحانه في سورة واحده أربع حوادث في إحياءه للموتى بعد موتهم ، فقد أرى بني إسرائيل آية ذلك بإحياء الرجل المقتول ، ولما خرجوا وهم ألوف حذر الموت أماتهم الله ثم

أحياهم ، وذكر سبحانه حادثتين أخريين أحدهما : عندما طلب إبراهيم عليه السلام أن يريه كيف يحي الموتى ، والأخرى عندما أمات الحمار وصاحبه ثم أحياهما ﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾[البقرة : ٢٥٩]

سادسا : ومن ذلك ضرب الأمثال الكثيرة في إنزال المطر وأحياء النبات ثم عود الأرض كما كانت جرداء قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٥٠ ﴾ [الروم] (١)

وليس المقصود هنا تقصى ذلك، وإنما الإشارة إلى شيء من هذه المواضع ، وقد حصل والحمد لله رب العالمين.

(١) انظر منهج شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ في تقرير عقيدة التوحيد ٢٧٦ وما بعدها .

المبحث الثاني :

بعض من شذ فأنكره أو نسب بعض صفاته إلى غيره

توحيد الربوبية معلوم بالبراهين العقلية والفطر السليمة والدلائل الكونية وأمره ظاهر للعيان لا يمكن أن يخفى على أحد من الخلق ولذا لم ينكره أحد معتبر، ولم يذهب الى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم ولم يعرف عن احد من الطوائف أنه قال إن العالم له صانعان متماثلان في الصفات والأفعال ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الطور]

إلا أننا نجد بعض من طمس الله بصرة وأعمى بصيرته ممن أنكر ربوبية الرب جل وعلا وجحد وجوده أو جحد بعض صفاته ، أو جعل له شريكاً فيها . ويمكن تقسيم أولئك إلى طائفتين :

أحداهما : الذين عطلوا الرب عن جميع صفاته

قص الله عز وجل علينا في كتابه الكريم قصة طاغيين أنكرا وجود الرب جل وعلا وادعيا بعض خصائص الربوبية ، فعاقبهما الله عز وجل، بجنس ما ادعياه

الطاغية الأول : النمرود بن كنعان[1] الذي زعم أنه قـادر عـلى إحيـاء الموتى مضاهيا بذلك الخالق جل وعلا ، فقال لإبـراهيم ـ عليـه الـسلام ـ حينما حاجه في ربه ﴿ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ ﴾البقرة: ٢٥٨ ردا على إبـراهيم عليـه السلام حيـنما قـال لـه : ﴿ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ ﴾ فجـاء بـرجلين قتـل أحدهما وأبقى الآخر وقال: {قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ } فما كان مـن إبـراهيم عليه السلام إلا أن طلب منه فعلا آخر من أفعال الـرب - جـل جلالـه – فقـال ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾ فانقطعـت حجته وبهت قال تعالى : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ .

وقد ذكر أهل التفسير : أن الله عز وجل ابتلى النمرود ببعوضة دخلـت رأسه وهو يحاول إخراجها ، لكن دون جدوى ، فما كان منه إلا أن أمر من عنده أن يضربوا رأسه بالنعال فكان أعز النـاس إليـه مـن يـضربه ، إلى أن مات[2].

فهذا الذي ادعى إحياء الموتى قد عجز أن يميـت بعوضـة عـلى صـغر حجمها ، وقربها منه ، وإيذائها .

١ ـ جبار كان ببابل يقال له : نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح وقيل : إنه نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، تفسير الطبري ٣/ ٢٥

٢ ـ انظر تفسير الطبري ٣/ ٢٥ وتفسير القرطبي ٣/ ٢٧١ .

الطاغية الثاني : فرعون عليه لعنة الله ، وهو أشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الرب جل وعلا، كما أخبر الله عنه أنه قال - : ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ [النازعات] وقال : ﴿ مَا عَلِمۡتُ لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرِي ﴾ [القصص: ٣٨] وبهذا ناقض فطرته التي فطره الله عليها من الإيمان بالرب جل وعلا، ولذا فإنه كان مستيقنًا به في الباطن كما أخبرعنه تعالى على لسان موسى ـ عليه السلام ـ قوله : ﴿ قَالَ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢] وقال عنه وعن قومه : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا ﴾النمل: ١٤ ومع ادعائه الربوبية ، لم يستطع أن ينجي نفسه من الغرق ، فأي رب هذا الذي يغرق ، ثم لا يستطيع أن ينجي نفسه

وممن أنكر ذلك أيضاً في العصر الحاضر : الشيوعيون، فقد أنكروا ربوبية الله، بل أنكروا وجوده - سبحانه وتعالى - بناءً على عقيدتهم الفاسدة التي تقوم على إنكار كل مغيب وعدم الإيمان إلا بالمحسوسات وتأليهه الطبيعة ، فنسبوا إلى الطبيعة الخلق والإرادة والحكمة والتدبير نسأل الله سلامة العقول .

وهم في الحقيقة يناقضون أنفسهم وفطرهم ولذا نجد أن كثيرا منهم كفروا بها ورجعوا عن قولهم ؛ بل دولتهم سقط كيانها بأقل من سبعين عاما على قيام اكبر تجمع لهم في التاريخ ، وهذا يعتبر وقتاً وجيزا بالنسبة إلى عمر الدول .

وهم "إنما ينكرون وجود ربهم في الظاهر مكابرة ؛ وإلا فهم في الباطن لا بد أن يعترفوا أنه ما من موجود إلا وله موجد ، وما من مخلوق إلا وله خالق وما من أثر إلا وله مؤثر ، قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝٣٦ ﴾[الطور][1]

ومنهم أيضاً المجوس الذين أنكروا توحيد الربوبية على سبيل التشريك المجوس الثنوية ، حيث قالوا : إن للعالم خالقين هما النور والظلمة ، إلا أنهم لم يجعلوا هذين الخالقين متساويين ، بل جعلوا النور خير من الظلمة؛ لأنه يخلق الخير ، والظلمة تخلق الشر ، والذي يخلق الخير خير من الذي يخلق الشر . وأيضاً فإن الظلمة عدم لا يضيء، والنور وجود يضيء ؛ فهو أكمل في ذاته.[2]

الطائفة الثانية : المشركون به في ربوبيته ولم يعطلوا وجوده

ومن هؤلاء على سبيل المثال :

١ـ النصارى الذين جعلوا مع الله رباً يوجد ويتصرف ويغفر الذنب ويكشف الكرب ويقولون بأن خالق الخلق ثلاثة لكنهم لم يثبتوا للعالم

---

١ ـ انظر القول المفيد ١/ ١٤

٢ ـ شرح قصيدة ابن القيم ١/ ٣٦٥ لابن عيسى ، وانظر (تيسير العزيز الحميد / ٣٣ ، والقول المفيد ١/ ١٤).

ثلاثة أرباب يفضل بعضهم عن بعض بل هم متفقون على أن صانع العـالم واحد ويقولون باسم الأب والابن وروح القدس اله واحد.[١]

٢ـ بعض من يزعم أن ثم خالقاً لبعض الأشـياء كالفلاسـفة الدهريـة في حركة الأفلاك أو حركات النفوس والأجسام الطبيعية ، وكالقدريـة في أفعال العباد ، وكمن يعتقد في إلهه أنـه ينفعـه ويـضره بـدون أن يخلـق الله ذلك فيه ، ومن هنا فإن الله أبطل هذا النوع من الشرك في قولـه سـبحانه : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]

٣ـ بعض المنتسبين إلى هذه الأمة من الغلاة في الأشـخاص كـالغلاة في نبينا عليه الصلاة والسلام القائلين بأنه له شيئاً من التصرف في الكون وأن الكون إنما خلق من أجله .

٤ـ غلاة الرافضة الذين يزعمون أن أئمتهم يعلمون الغيب ويتصرفون في الكون كما هو ظاهر في كتبهم .

وليس المقصود هنا بيان شركهم وضلالهم فلعلـه يتيـسر ذلـك بـإفراده بمبحث مستقل وإنما المقصود تعداد طوائفهم .

---

١ ـ المصدر السابق

ومن هنا يتبين لنا أن إنكار وجود الله قليـل في الخلـق إلا أن الـشرك في الربوبية قال به كثير ممن ابتعد عن كتاب الله وسـنة رسـوله صـلى الله عليـه وسلم ، أو ممن لم يؤمن به أصلا ، نسأل الله السلامة والعافية .

كما أنه ينبغي أن ينبه هنا إلى انه ليس في الخلق من اعتقد وجود خـالقين متماثلين في كل شيء ؛ لأنه لو كان للعالم صانعان متكافئان فعند اخـتلافهما مثل أن يريد أحدهما تحريك جسم ويريد الآخر تـسكينه أو يريـد أحـدهما إحياءه ويريد الآخر إماتته فأما أن يحـصل مرادهمـا أو مـراد أحـدهما أو لا يحصل مراد واحد منهما ، والأول ممتنع ؛ لأنه يستلزم الجمع بين الـضدين، والثالث ممتنع لأنه يستلزم خلو الجسم عن الحركـة والـسكون ، ويـستلزم أيضا عجز كل منهما، والعاجز لا يكون إلها ؛ ولأن المانع من فعل أحـدهما هو فعل الآخر، فلو امتنع مرادهما لزم كون كل منهما مانعا للآخر، وذلـك يستلزم كون كل منهما قادرا غـير قـادر؛ لأن كونـه مانعـا يقتـضي القـدرة وكونه ممنوعا يقتضي العجز، وذلك تنـاقض ، وإذا حـصل مـراد أحـدهما دون الآخر كان هذا هو الإله القادر والآخر عاجزا لا يصلح للإلهية.[1]

١ ـ انظر المصدر السابق

المبحث الثالث :

هذا الإقرار لا يكفي للدخول في الإسلام

تقدم أن الأمم قد أقرت بتوحيد الربوبية بل إن الخلق كلهم مقرون بذلك[1] إلا أن هذا الإقرار لم ينفعهم ولم ينجهم من عذاب الله جل شأنه كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ﴾ [الزخرف]وقال سبحانه : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر]

فعلم بهذا أن الإقرار بربوبية الله تعالى لا يكفي العبد في تحقق إسلامه بل لابد معه من الإتيان بلازمه ومقتضاه وهو توحيد الألوهية .

وهذا مما يؤكد أن توحيد الربوبية ليس هو الغاية من التوحيد، وليس هو الغاية التي من أجلها خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزلت الكتب ؛ خلافا لما يعتقده بعض من انتسب إلى هذا الدين من أهل الكلام وبعض المتصوفة الذي لا يشهدون إلا هذا التوحيد، حتى ظنوا أنه هو الغاية من خلقهم، وأن من حققه فقد حقق غاية التوحيد الذي جاءت به الرسل ،

---

١ ـ بغض النظر عما وقع فيه من الشرك من كثير منهم ، فإنه لا يقدح في اقرارهم به ، كما أن اقرار كثير من الخلق في أن الله معبودهم لا يعني أنهم يخلصون العبادة له وينقادون.

فصار عامة المشركين الذين بعثت إليهم الرسل أعلم منهم بمراد الرسـل ، قال تعالي : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمـه الله : " فـإن عامـة المتكلمـين الـذين يقررون التوحيد في كتب الكلام والنظر غايتهم أن يجعلوا التوحيـد ثلاثـة أنواع ، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له ، وواحد في صفاته لا شـبيه له ، وواحد في أفعاله لا شريك لـه، وأشـهر الأنـواع الثلاثـة عنـدهم هـو الثالث، وهو توحيد الأفعال، وهو أن خـالق العـالم واحـد ، ويظنـون أن هذا هو التوحيد المطلوب ، وأن هذا هو معنى قولنـا لا إلـه إلا الله ، حتـى يجعلوا معنى الألوهية القدرة عـلى الاخـتراع ، ومعلـوم أن المـشركين مـن العرب الـذين بعـث إلـيهم محمـد صـلى الله عليـه وسـلم أولاً لم يكونـوا يخالفونه في هذا، بل كانوا يقرون بأن الله خالق كل شيء، حتى إنهـم كـانوا يقرون بالقدر أيضاً ، وهم مع هذا مشركون". [1]

ومما يبين أن هذا التوحيـد لا ينجـي صـاحبه مـن عـذاب الله ولا يعـد صاحبه مسلماً ما يأتي :

أولا : أن إبليس لعنه الله اقر به ونطق فلـم ينجـه مـن عـذاب الله قـال تعالى عـلى لـسانه : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الحجـر: ٣٩] فـاعترف بربوبيتـه

---

١ ـ مجموع الفتاوى ٣ / ٩٨ ، والتدمرية ١٠٨ .

وعبوديته له العبودية العامة ، وقال سبحانه ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦] وقال سبحانه : ﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [إبراهيم]

فاعترف بربوبية الله له وأقر بضعفه وهوانه وأنه لا يملك لنفسه شيئاً بعدما وقعت الواقعة ودخل هو وجنوده النار .

ثانياً : أن فرعون إمام الملحدين اقر به ولم ينجه من عذاب الله قال سبحانه على لسان موسى مخاطباً فرعون ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ ﴾ [الإسراء: ١٠٢]

وقال عنه قومه : ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾[النمل: ١] إلا أن هذا لم ينفعهم ؛ بل إنه كان يدرك أنه له ربا يجب أن يعبده ولذا لما أدركه الغرق قال ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس]

ثالثاً : أن جميع الأمم التي بعثت إليهم الرسل كانوا مقرين بذلك ومع ذلك بعث الله إليهم رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولذا كانوا أول ما يدعون أقوامهم يدعونهم إلى عبادة الله وحده ، قال جل شأنه ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ

﴿وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾[النحل: ٣٦] وما من رسول إلا كان أول أمر يأمر به قومه قوله : ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩] ولو كان توحيد الربوبية منجينا لهم من عذاب الله لما بعث الله إليهم رسولا ولما وقع بينهم خصومة .

رابعاً : أن الخصومة بين الرسل وأتباعهم إنما وقعت في توحيد العبادة لا الربوبية ولو كان توحيد الربوبية كافيا لما وقعت تلك الخصومة فيه قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَـٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [النمل] أي فريق مصدق به وبرسالته وفريق كافر به وبرسالته وبما جاء به[١] وكذا سائر الرسل فما من رسول إلا دعا قومه إلى عبادة الله لا إلى إفراده بالربوبية قال سبحانه على ألسنة رسله : ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ [إبراهيم] قوله تعالى : {قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ} استفهام معناه الإنكار أي لا شك في الله أي في توحيده قاله قتادة وقيل : في طاعته.[٢]

---

١ ـ انظر تفسير ابن جرير ٩/ ٥٣٠ ، وابن كثير ٣/ ٤٨٨.

٢ ـ تفسير القرطبي ٩/ ٢٩٥.

خامساً : أن نبينا عليه الصلاة والسلام أمر بمفارقة المشركين في دينهم وديارهم بسبب كفرهم بأحقية الله وحده للعبادة دون من سواه مع إقرارهم بتفرده بالخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحوها ؛ بل لما جادله قومه في دعوته إلى إخلاص العبادة لله وحده قالوا له نعبد إلهك عاما وتعبد إلهنا عاما فأنزل الله قوله تعالى ﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ ﴾ قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : "هذه السورة سورة البراءة من العمل الذي يعمله المشركون وهي آمرة بالإخلاص فيه فقوله تعالى : { قل يا أيها الكافرون } يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهين بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أوثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية" (١)

ومثلها قوله سبحانه : ﴿ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٤١ ﴾ [يونس]

قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : (يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وإن كذبك هؤلاء المشركون فتبرأ منهم ومن عملهم { فقل لي عملي ولكم عملكم } كقوله تعالى : { قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون } إلى

١ ـ تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٦ وانظر تفسير ابن جرير ١٢/ ٧٢٧.

آخرها وقال إبراهيم الخليل وأتباعه لقومهم المشركين {إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله } الآية.) [١]

سادساً : أن كفار قريش وكفار العرب الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية ومع ذلك لم يقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك حتى يؤمنوا بالله وحده ويخلصوا له الدين كله ، قال سبحانه : { ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾[الزمر]

وقال سبحانه : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [البينة: ٥]

سابعاً : أن هذا التوحيد وحده لا يعصم دم العبد وماله فقد أقر به المشركون الذين بعث فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم ومع ذلك لم تنفعهم هذه الشهادة في شيء؛ لأنهم لم يحققوا توحيد الألوهية، ولذلك قاتلهم الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يقروا بتوحيد الألوهية .

قال صلى الله عليه وسلم : ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا لا إله إلا الله وأني رسول الله ؛ فإن قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**)) [٢][٣] .

١ ـ تفسير ابن كثير ٢/ ٥٥٠ .

٢ ـ رواه البخاري (ح ٢٥) ومسلم (ح ٢٠).

٣ ـ انظر مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٤٥.

ثامنا: أن من مات على توحيد الربوبية فقط لا ينجيه من عذاب الله.

عن أبي هريرة قال لما أنزلت هـذه الآيـة ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ ﴾ [الشعراء] دعا رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم قريـشا فـاجتمعوا فعـم وخص فقال يا بني كعب بن لؤي أنقذوا أنفسكم من النار يا بني مـرة بـن كعب أنقذوا أنفسكم من النار يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النـار يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم مـن النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار يا فاطمة أنقـذي نفـسك من النـار فـإني لا أملـك لكـم مـن الله شـيئا ،غـير أن لكـم رحمـا سـأبلها ببلالها.)[1]

فبين عليه الصلاة والسلام أن من مات على ما كـان يعتقـده المـشركون دخل النار ، ولما سأله العباس : عمك أبو طالب كان يحوطك فهـل نفعتـه بشيء قال : ((**انه في ضحضاح من النار ولولا أنا كـان في الـدرك الأسـفل من النار**))[2]

فتبين بهذا أنه ليس كل مـن أقـر بـان الله تعـالى رب كـل شيء وخالقـه يكون محققا للتوحيد ناجيا من عذاب الله حتـى يكـون عابـدا لـه دون مـا

---

١ ـ رواه مسلم (ح ٢٠٤).

٢ ـ رواه أحمد ١/ ٢٠٦ وأصله في البخاري (ح ٣٦٧٢).

سواه، داعيا له دون ما سواه ، راجيا له خائفا منه دون ما سواه، يـوالي فيـه ويعادي فيه ويطيع رسوله ويأمر بما أمر به وينهى عما نهى عنه .

وعامة المشركين أقروا بأن الله خالق كـل شيء لكـنهم ابتغـوا الـشفعاء عند الله فجعلوا له أندادا قال الله تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الزمر : ٤٣] ولهذا وجد أمثـال هؤلاء ممن يسجد للشمس والقمر والكواكب ويدعوها ويـصوم وينـسك لها ويتقرب إليها ثم يقول إن هذا ليس بشرك إنما الشرك إذا اعتقـدت أنهـا المدبرة لي فإذا جعلتها سببا وواسطة لم أكن مشركاً ومن المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام إن هذا شرك.

وأجهل منهم من جعل إثبات توحيد الربوبية هو الغاية في التوحيد كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة وعبـاد المتـصوفة ممـن لم يعرفـوا حقيقـة التوحيد الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم.[1]

وكذلك " الذين يظنون أن غاية التحقيق فيه هو النطق بكلمة الـشهادة من غير اعتقاد القلب بشيء من المعاني والحاذق منهم يظن أن معنـى الإلـه هو الخالق المتفرد بالملك فتكون غاية معرفته هو الإقرار بتوحيـد الربوبيـة،

١ ـ انظر شرح قصيدة الإمام ابن القيم ٢/ ٢٥٩.

وهذا ليس هو المراد بالتوحيد، ولا هو أيضا معنى لا إله إلا الله، وإن كـان لا بد منه في التوحيد؛ بل التوحيد اسم لمعنى عظيم، وقول له معنى جليـل هو أجل من جميع المعاني. وحاصله هو البراءة من عبادة كل مـا سـوى الله والإقبال بالقلب والعبادة عليه ."[1]

١ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد. ١١٢ .

الفصل السابع :

من ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية

الفصل السابع :

من ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية .

ثمرات الإيمان بتوحيد الربوبية لا يحصيها العد ولا يحيط بها العقل حصراً، ولذا فسأشير في هذا الفصل إلى بعض تلك الثمرات والتي منها:

١- أن تحقيق هذا التوحيد سبب لتحقيق التوكل الذي هو أقوى الأسباب في جلب الخير ودفع الشر فإن المؤمن بكمال تحقيقه لربوبيته الله يتبرأ من كل حول وطول ويلتجأ بل ويعتصم بحول القوي العزيز، ولذا شرع لنا أن نقول : " لا حول ولا قوة إلا بالله عند العجز"

والحول التحول والانتقال من حال إلى حال والقدرة على ذلك، أي لا حول ولا قوة على ذلك الحول إلا بك، وذلك يفيد التوكل على الله لأنه علم وعمل فالعلم معرفة القلب بتوحد الله بالنفع والضر وعامة المؤمنين بل كثير من المشركين يعلمون ذلك والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ما سواه، وهذا عزيز ويختص به خواص المؤمنين وهو داخل في هذه الكلمة لأن فيها التبري من الحول والقوة والمشيئة بدون حول الله وقوته ومشيئته، والإقرار بقدرته على كل شيء وبعجز العبد عن كل شيء إلا ما أقدره عليه ربه وهذا نهاية توحيد الربوبية الذي يثمر التوكل وتوحيد العبادة .[١]

---

١ ـ تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد بتصرف يسير ص ٣٨٣.

ومما يؤكد ذلك ويوضحه أن التوكل من نتائجه والتوكل من أعلى مقامات الدين ودرجات المؤمنين وقد تصدر الإنابة والتوكل من عابد الوثن بسبب معرفته بالربوبية كما قال تعالى وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه.[1]

٢- تحقيق العبودية التامة لله جل وعلا فإن من عرف الله جل وعلا حق المعرفة عرفه بأسمائه وصفاته وآلائه وآياته الباهرة لا يمكن إلا أن يلهج لسانه بذكره وقلبه بالعبودية التامة له ، وهذا لا يكون إلا للمؤمنين الكمل الذين وصفهم الله بقوله : ﴿ **ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١** ﴾ [آل عمران] فبلغ بهم تحقيق توحيد الربوبية إلى الإذعان له والإخلاص له في جميع أنواع العبادة ذلت لهم قلوبهم وألسنتهم وأبدانهم .

٣- البعد عن الشرك . إن من عرف الله وحقق الربوبية الكاملة له لا يمكن أن يشرك به شيئا لأن كل عابد لغير الله لا يخلو إما أن يكون راجيا أو خائفا وإذا عرف العبد أن من بيده جلب النفع ودفع الضر هو الله وحده لم يلتفت قلبه إلى غيره في طلب أي شيء ولذا أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم العهد على بعض أصحابه أن لا يسألوا الناس شيئا اعتمادا

---

١ ـ مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٢١

على الله واستغناء به عن غيره كما أبطل سبحانه اعتقاد كـل معتقـد في غـير الله أن يكون يملك نفعـاً أو ضرا فقـال جـل شـأنه : ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾ المائدة أي يسمعكم ويعلم حاجاتكم فيقضيها لكم .

٤- شهود فقره وحاجته إليه ، بل إن المحقق لتوحيد الربوبيـة ليـشهد فقر جميع المخلوقات إلى الله جل وعلا وعدم اسـتغنائها عنـه طرفـة عـين، وإذا كان كذلك لم ينزل حاجته وفقره إلا به ؛ بل لم يلتفت قلبه إلى غـيره في جلب خير أو دفع شر لعلمه بأن كل من توجه إليه بـشيء مـن ذلـك فقـير مثله فكيف يلتجئ إلى فقير ويترك الغنـي الحميـد قـال سـبحانه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر]. قال ابـن جرير ـ رحمه الله ـ : "يقول تعالى ذكره : يا أيهـا النـاس أنـتم أولـو الحاجـة والفقر إلى ربكم فإياه فاعبـدوا وفي رضـاه فـسارعوا يغنـيكم مـن فقـركم وتنجح لديه حوائجكم { وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ } عن عبادتكم إياه وعن خدمتكم وعن غير ذلك من الأشياء منكم ومن غيركم "[١]

٥- قوة التمسك بدين الله من أهم أسبابه معرفة الرب جل وعـلا بـما تعرف به على عباده وبما أوجبه عليهم وافترضه عن طريق رسله ، فإن مـن حقق ذلك لا يمكن أن يتزعزع عن دين الحق أبدا ولذا كان عليـه الـصلاة

١ ـ تفسير الطبري ١٠/ ٤٠٤ .

والسلام يقول : " يرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شـديد " وذلـك قوله لقومه حينما جادله قومه في الملائكـة الـذين أرسـلهم الله عـلى شـكل شبان حسان فجاؤا يهرعون إليـه قـال تعـالى : ﴿ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ ﴾ [هود]

٦- التمييز بين توحيدي الربوبية والألوهية تمييزا تاما يعرف به العبـد ما عليه غالب الناس بكونهم إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبيـة الذي لم يصل إليه شرك المشركين وإما مصدق لهم تابع لهـم وإمـا شـاك لا يدري ما أنزل الله على رسوله ولا يميز بـين ديـن الرسـول صـلى الله عليـه وسلم وبين دين النصارى.

٧- يوجد في المؤمن العزة لأنه يستمد القوة والعزة من الـرب العزيـز القوي المتين قال سـبحانه ردا عـلى المنـافقين في قـولهم : ﴿ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون] فيعلم أن من طلب العزة من غـير الله أذلـه الله ومـن طلبهـا منـه أعزه الله .

٨- من عرف الله وحقق توحيد الربوبية قطع الطمع عن النظر فـيما في أيدي المخلوقين وذلك علم أن الله هو الرزاق، وآمن بذلك، وأيقـن أن الله بيده خزائن السموات والأرض، لا مانع لما أعطـى، ولا معطـي لمـا منـع ـ قطع الطمع من المخلوقين، واستغنى بالله عما بأيديهم .

٩- تحقيق توحيد الربوبية طريق لتحقيق الإيمان بالقضاء والقدر ، فإن من عرف أنه جزء من ملك الله يصرفه كيف يشاء وعلم أنه سبحانه بكل شيء عليم لا يقع في ملكه إلا ما قد علمه وقدره قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة أورث في نفسه الصبر عند المصائب والشكر عند المحامد .

١٠-يورث الأنس بالله واطمئنان القلب بذكره جل وعلا وذلك أن المؤمن حقا إذا علم أن له ربّاً خالقاً هو الله ـ تبارك وتعالى ـ وأن هذا الرب هو رب كلِّ شيءٍ ومليكُه وهو مصرف الأمور، وأنه هو القاهر فوق عباده، وأنه لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض ـ أَنِسَت رُوحُه بالله، واطمأنت نفسه بذكره.

١١-يورث الخوف من الله وحده فإن من أيقن بأن الله هو المحيي المميت، النافع الضار، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن أمره كلَّه بيد الله ـ انبعث إلى الإقدام والشجاعة غير هياب، وتحرر من رق المخلوقين وخوفهم، ولم يعد في قلبه خوف من سوى الله ـ عز وجل .

١٢-يورث قوة الرجاء بالله جل وعلا فإن من عرف أنه سبحانه له ملك كل شيء لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم بيده خزائن السموات والأرض ، يداه سحاء الليل والنهار لا يغيضهما شيء ، مهما أنفق لم ينقص من ملكه شيء فإنه لن يرجو سواه ولن

يتوكل على غيره ولن يسأله غيره ولن يلتجأ إلا إليه .

١٣-وبالجملة فهو يورث أنواعا من العبودية لله وحده من عبودية الذل له وحده وإنزال الحاجات ببابه ، وعبودية التوكل والرجاء والإنابة والمحبة وغيرها كثير لأن من عرف الله حق المعرفة عرفه بأفعاله وصفاته وأسمائه أورث فيه حبه والتعبد له بكل اسم أو صفه .

١٤-قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ "وأما الصبر والرضا والتسليم والتوكل والإنابة والتفويض والمحبة والخوف والرجاء فمن نتائج توحيد الربوبية وهذا وأمثاله لا يعرف إلا بالتفكر لا بالمطالعة وفهم العبارة" [١]

١٥-كما أن من ثمرات الإيمان بربوبية الله وتوحيده الثبات في المحن والشدائد والفتن ، قال تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم] ، فإن المؤمن بربه يستمد العون منه محققاً قوله تعالى : { إياك نعبد وإياك نستعين } يعلم أن من كان الله له معين فلا غالب له ، يركن إليه معتصما بحبله المتين .

---

١ ـ مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ص ١/ ١٢١

الخاتمة

وبعد هذا فإني احمد الله العلي القدير على توفيقه وامتنانه على ما تفضل به علي من الكتابة في هذا الموضوع والذي تتلخص أهم نتائجه فيما يلي:

١. أن هذا التوحيد من أنواع التوحيد التي وردت في الشرع .

٢. أن المراد بالتوحيد في إطلاق الشارع هو توحيد الإلهية لا الربوبية.

٣. أن تقسيم أهل العلم للتوحيد ليس بدعاً من القول وإنما مستنبط من نصوص الكتاب والسنة .

٤. أن أنواع التوحيد متلازمة مترابطة وإنما وضع التقسيم للبيان والتوضيح لا على أنها متباينة متضادة .

٥. أن توحيد الربوبية مشتق من كلمة " رب " وهي مشتملة على عدة معان هي : السيد المطاع والمربي القائم بالإصلاح ، والمالك ، والمدبر ، والمعبود ، وقد أختص سبحانه منها بالكمال المطلق الذي لا يماثله فيها أحد.

٦. كما أنه تقرر توقف قبول الإيمان على إفراد الله بالربوبية المطلقة.

٧. تعدد أسماء توحيد الربوبية واتحاد معانيها.

٨. أهمية توحيد الربوبية تكمن في فقر العباد إلى الله وفي لازمه وهو إخلاص العبادة لله وحده.

٩. لا تطلق كلمة الرب معرفة بالألف واللام إلا على الله جل وعلا فقط أما إذا جردت جاز إطلاقها على غيره .

١٠. لا يجوز إطلاق الألفاظ التي يكون فيها إيهام بالمشاركة بين الخالق والمخلوق وعليه تحمل نصوص النهي عن بعض الألفاظ .

١١. تفضل سبحانه وتعالى على المؤمنين من عبادة بمزيد العناية والتوفيق والحفظ ونحوها من مستلزمات الربوبية عن غيرهم .

١٢. من أخص صفات الربوبية صفة الخلق والملك والتدبير.

١٣. لم يعارض المشركون أنبياءهم في وجوب الإيمان بهذا النوع من التوحيد ، لكن إقرارهم لا يعني تحقيقهم له وإنما آمنوا به أجمالا وإن أنكر بعضهم شيئا من مدلولاته .

١٤. أكد سبحانه على هذا النوع من التوحيد في كتابه لبيان عظمته واستحقاقه للعبادة وحده دون من سواه ووجوب ذلك على خلقه .

١٥. تنوعت الأساليب القرآنية في سياق هذا التوحيد العظيم لتأكيد وجوب عبادته وحده سبحانه .

١٦. تبين بطلان ما يعتقده بعضهم من الاكتفاء بشهود الربوبية دون تحقيق العبودية لله وحده .

١٧. كما تبين أن هذا التوحيد لا ينجو به صاحبه من عذاب الله ولا يكون معصوم الدم والمال حتى يأتي بلازمة من تحقيق العبودية لله وحده .

١٨. ظهر من خلال البحث ما للإيمان بهذا التوحيد من ثمرات لا يمكن أن يستغني عنها أي عبد .

فهرس المصادر والمراجع

١. أحكام أهل الذمة لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر: رمادى للنشر – دار ابن حزم – الدمام – بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧ تحقيق: يوسف أحمد البكري – شاكر توفيق العاروري.

٢. أحكام أهل الذمة محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ط/ رمادى للنشر – دار ابن حزم – الدمام – الطبعة الأولى، ١٤١٨ – ١٩٩٧ تحقيق: يوسف أحمد البكري – شاكر توفيق العاروري.

٣. الاستقامة أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – الطبعة الأولى، ١٤٠٣ تحقيق: د. محمد رشاد سالم.

٤. بدائع الفوائد حمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – مكة المكرمة الطبعة الأولى، ١٤١٦ – ١٩٩٦ تحقيق: هشام عبد العزيز عطا – عادل عبد الحميد العدوي – أشرف أحمد

٥. تاج العروس من جواهر القاموس للزبيد ط دار الفكر.

٦. التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية ط العبيكان .

٧. تفسير ابن سعدي (الموسوم بتيسير الكريم المنان في خلاصة تفسير القرآن) للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي طبعة مركز صالح بن صالح بعنيزة .

٨. تفسير ابن كثير(تفسير القرآن العظيم) المؤلف : إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء ط دار الشعب .

٩. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري أبو جعفر ط دار الفكر.

١٠.تفسير القرطبي لمؤلف : محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ط دار الكتب المصرية .

١١.تلبيس الجهمية في تأسيس بدهم الكلامية لأبي العباس شيخ الإسلام أحمد بن تيمية تصحيح وتعليق محمد عبد الرحمن بن قاسم ط الحكومة السعودية ١٣٩١هـ

١٢.توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم ، لأحمد بن إبراهيم بن عيسى الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦ تحقيق : زهير الشاويش .

١٣.تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد المؤلف : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب الناشر : مكتبة الرياض الحديثة – الرياض

١٤. جامع الرسائل لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس – مصر . تحقيق : محمد رشاد سالم .

١٥. الجامع الصحيح المختصر المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي .

١٦. الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبد الله ، الناشر دار الكتب المصرية .

١٧. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لمحمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ابن القيم الجوزية الناشر: دار الفكر.

١٨. حاشية كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ الرياض.

١٩. درء تعارض العقل والنقل لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : دار الكنوز الأدبية – الرياض ، ١٣٩١ تحقيق : محمد رشاد سالم .

٢٠. درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق محمد رشاد سالم ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

٢١. الرسالة التبوكية زاد المهاجر إلى ربه المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ، الناشر : مكتبة المدني – جدة تحقيق : د. محمد جميل غازي.

٢٢.رفع الشبهة والغرر عمن يحتج على فعل المعاصي بالقدر المؤلف : مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي الناشر : دار حراء - مكة المكرمة الطبعة الأولى ، ١٤١٠تحقيق : أسعد محمد المغربي.

٢٣.زاد المعاد في هد خير العباد لشمس الدين ابن قيم الجوزية تحقيق شعيب الاوناووط / ط دار الرسالة.

٢٤.زاد المهاجر إلى ربه أو (الرسالة التبوكية) المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله ط / مكتبة المدني جده تحقيق د. محمد جميل غازي.

٢٥.السلسلة الصحيحة لمحمد ناصر الدين الألباني الناشر : مكتبة المعارف – الرياض.

٢٦.سنن ابن ماجه لمحمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني الناشر : دار الفكر ـ بيروت ،تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ترقيم تعليق محمد فؤاد عبد الباقي والأحاديث مذيلة .

٢٧.سنن أبي داود / لسليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي / الناشر : دار الفكر ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، والأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٢٨.سنن الترمذي الموسوم (بالجامع الصحيح سنن الترمذي) المؤلف : محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها.

٢٩.سنن النسائي الموسوم (بالمجتبى من السنن) لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي الناشر : مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب الطبعة الثانية ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦ تحقيق : عبدالفتاح أبو غدة الأحاديث مذيلة بأحكام الألباني عليها بأحكام الألباني عليها.

٣٠.شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي الناشر : المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الرابعة ، ١٣٩١.

٣١.شرح النووي على مسلم المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج.

٣٢.شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن القيم :محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار الفكر – بيروت ، ١٣٩٨ – ١٩٧٨ تحقيق : محمد بدر الدين أبو فراس النعساني الحلبي .

٣٣.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار طبعة الشربتلي .

٣٤.صحيح الإمام البخاري الموسوم بــ (الجـامع الـصحيح المختـصر) المؤلف : محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي الناشر : دار ابـن كثير ، اليمامة – بيروت ، الطبعة الثالثـة ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ ، تحقيـق : د. مصطفى ديب البغا .

٣٥.صحيح مسلم لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القـشيري النيـسابوري الناشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق : وترقيم محمـد فـؤاد عبد الباقي .

٣٦.الصفات الإلهية في الكتاب السنة النبويـة د/ محمـد أمـان الجـامي ط المجلس العلمي بالجامعة الاسلامية بالمدينة النبوية ١٤٠٨هـ .

٣٧.طريق الهجرتين وباب السعادتين لابـن القـيم : محمـد بـن أبي بكـر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار ابن القيم – الدمام الطبعة الثانية، تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر.

٣٨.الفتاوى الكبرى لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العبـاس، الناشر : دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٨٦، تحقيـق : حـسنين محمد مخلوف .

٣٩.فتاوى مهمة لعموم الأمة ١/ ٤ المؤلف : عبد العزيز بن بـاز ، محمـد بن صالح العثيمين الناشر : دار العاصمة – الرياض .

٤٠. فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

٤١. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن بن عبد الوهاب تعليق محمد حامد الفقي الناشر المكتب الإسلامي بيروت

٤٢. القواعد الأربع للشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب ط الجامعة الإسلامية.

٤٣. القول المفيد للشيخ محمد بن صالح العثيمين ط ابن الجوزي.

٤٤. كتاب العين بي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي الناشر: دار ومكتبة الهلال - تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي.

٤٥. لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري الناشر: دار صادر – بيروت الطبعة الأولى.

٤٦. لوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد اللهالناشر: دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الأولى تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض.

٤٧. مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب ١/ ١٥٢المؤلف: محمد بن عبد الوهاب الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض تحقيق: عبد العزيز زيد الرومي، د. محمد بلتاجي، د. سيد حجاب.

٤٨. مجموع الفتاوى لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس جمع وترتيب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم ، طبعة مكتبة المعارف .

٤٩. مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي الناشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت الطبعة طبعة جديدة ، ١٤١٥ – ١٩٩٥ تحقيق : محمود خاطر .

٥٠. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين المؤلف : محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار الكتاب العربي – بيروت الطبعة الثانية ، ١٣٩٣ – ١٩٧٣ تحقيق : محمد حامد الفقي .

٥١. المدخل لدراسةِ العقيدةِ الإسلاميةِ على مذهبِ أهل السنةِ والجماعةِ د ابراهيم بن محمد البريكان طبعة دار ابن عفان وابن الجوزي.

٥٢. المستدرك على الصحيحين لمحمد بن عبد الله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ – ١٩٩٠ ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا مع الكتاب : تعليقات الذهبي في التلخيص.

٥٣. مسند الإمام أحمد مسند لإمام أحمد بن حنبل الشيباني طبعة دار الكتب العلمية بيروت .

٥٤. معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول حافظ بن أحمد حكمي الناشر : دار ابن القيم – الدمام الطبعة الأولى ، ١٤١٠ – ١٩٩٠ تحقيق : عمر بن محمود أبو عمر .

٥٥. معجم مقاييس اللغة ، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، ت / عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت .

٥٦. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت.

٥٧. المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، الناشر مكتبة الحلبي بمصر .

٥٨. الملل والنحل لمحمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني الناشر : دار المعرفة – بيروت ، ١٤٠٤ تحقيق : محمد سيد كيلاني.

٥٩. منهاج السنة النبوية لأحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس الناشر : مؤسسة قرطبة الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ تحقيق : د. محمد رشاد سالم .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة